عن مصر و فار ا د لسريكا

المجلد الخامس من احياء العلوم عدد ١٧

١

١٦٢٥

١٦٤٥

الخامس من كتاب إحياء علوم الدين

تأليف الشيخ الإمام الحبر
العالم العامل العلامة حجة الإسلام
أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
الطوسي رحمه الله بمنه

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين
والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي
محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع واستفاد وأنا أسعد
خلد الله تعالى ملكه إلى الأبد حرره الفقير أحمد شيخ زاده
المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق ومعالجة امراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلاة على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح نور النبوة من اساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا كثيره اما بعد فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة

بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن فالاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الابد واين منه المرض الذي لا يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس فيها الا فوت حياة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها فوت حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تانق في معرفة عللها واسبابها ثم الى التشمير في معالجتها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله تعالى وقد خاب من دساها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل امراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج مخصوص الامراض فان ذلك ياتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد مناهجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا

له لقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق
ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغيير بالرياضة
ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطريق
الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي يعرف
امراض القلوب ثم بيان الطريق الذي به يعرف به عيوب نفسه ثم بيان
شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير
ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في
اول النشوء ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد
فصلا يجمع مقاصد الكتاب ان شاء الله تعالى **بيان فضيلة** حسن
الخلق ومذمة سوء الخلق قال الله تعالى لنبيه وحبيبه
مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عايشة
كان رسول الله خلقه القرآن قوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين ثم قال عليه السلام وهو ان تصل من
قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال عليه السلام
بعثت لاتمم حسن الاخلاق وقال عليه السلام افضل ما يوضع
في الميزان خلق حسن وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه

من قبل يمينه فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل
شماله فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال
يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا
تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم قال سوء الخلق وقال
رجل لرسول الله اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني
قال اتبع السيئة الحسنة قال زدني قال خالط الناس بخلق حسن
وسئل عليه السلام اي الاعمال افضل فقال حسن الخلق وقال
عليه السلام ما حسن الله خلق امرء وخلقه فتطعمه النار وقال
الفضيل قيل لرسول الله ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل
وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال عليه السلام لا خير
فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخا
ولما خلق الله عز وجل الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق
وقال عليه السلام ان الله تعالى استخلص هذا الدين لنفسه ولا
يصلح لدينكم الا السخا وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل
يا رسول الله اي المومنين افضل ايمانا قال احسنهم خلقا وقال

عليه السلام انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط
الوجه وحسن الخلق وقال عليه السلام ايضا سوء الخلق يفسد
العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك
فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله احسن الناس
وجها واحسنهم خلقا وعن ابن مسعود البدري قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمرو
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء يقول اللهم
اني اسئلك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كرم المرء دينه ومروته عقله وحسبه خلقه
وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسالون النبي صلى
الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد قال خلق حسن وقال
عليه السلام احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم
اخلاقا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن الله بشيء من عمله تقوى تحجزه عن
معاصي الله عز وجل او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس
وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة اللهم اهدني

لأحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف
سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال
عليه السلام من سعادة المرء حسن الخلق وقال عليه السلام اليمن
حسن الخلق وقال عليه السلام لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا
حسب كحسن الخلق وعن انس قال قالت ام حبيبة يا رسول الله ارايت
المراة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة
لايهما هي قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب
حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال عليه السلام ان المسلم المسدد
ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته وفي رواية
درجة الظمآن في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند
النبي صلى الله عليه وسلم اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي
جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب فجاء حسن خلقه فادخله
على الله تعالى وقال انس رضي الله عنه قال عليه السلام ان العبد
ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة
وروي ان عمر استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسا
من نسا قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن

عمر تبادرن الحجاب ودخل عمر ورسول الله يضحك فقال عمر اضحك
الله سنك بابي انت وامي يا رسول الله فقال رسول الله عجبت لهولاء
اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب قال عمر فانت
احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال اي عدوات انفسهن
اتهبنني ولا تهبن رسول الله قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله
ايها ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا
فجا الا سلك غير فجك وقال عليه السلام سو الخلق ذنب لا يغفر
وسو الظن خطيئة تفوح وقال عليه السلام ان العبد ليبلغ من سو
خلقه اسفل درك جهنم ٥ الاثار قال ابن لقمن الحكيم لابيه يا
ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين
قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلثا قال المال والدين والحيا
قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال وحسن الخلق قال فاذا كانت
خمسا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق والسخا قال فاذا كانت
ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه خمس الخصال فهو نقي تقي لله تعالى
ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من سا خلقه عذب نفسه وقال
انس ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد
ويبلغ بسو خلقه اسفل درجة في جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ

في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل
السيء الخلق كمثل الفخار المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال
الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء
الخلق وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق في سفره وكان يحتمل منه
ويداريه فلما ان فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال اترحم عليه فارقته
وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى
اعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخا وحسن الخلق
وهو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق من زاد عليك
في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر خالطوا الناس بالاخلاق
وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سو الخلق سيئة لا ينفع معها
كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات
وسئل ابن عباس ما الكرم قال ما بين الله تعالى في كتابه ان اكرمكم عند الله
اتقاكم قيل له ما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل
لكل بنيان اساس وبنيان الاسلام حسن الخلق وقال ابن عطا ما ارتفع
الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى عليه السلام واقرب
الخلق الى الله تعالى السالكون اثاره بحسن الخلق **بيان حقيقة
حسن الخلق وسو الخلق** اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن

بانه ما هو وما تعرضوا الحقيقته وانما تعرضوا الثمرته ثم لم
يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر
له وكان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته
المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول
الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال
الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله وقال شاه
الكرماني كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم ان يكون من الناس قريبا
وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو ارضا الخلق في السراء
والضراء وقال ابو عثمان هو الرضى من الله عز وجل وسئل سهل عن الخلق
فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار
له والشفقة عليه وقال مرة ان لا يتهم مولاك في الرزق وتثق به
وتسكن الى الوفا بما ضمن وتطيع مولاك ولا تعصيه في جميع الامور
فيما بينك وبين الله تعالى وفيما بينك وبين الخلق وقال علي حسن الخلق
في ثلث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسع على العيال وقال
الحسين بن منصور هو ان لا يوثر فيك جفا الخلق بعد مطالعتك
للحق وقال الخراز ان لا يكون لك همة غير الله فهذا وامثاله كثيرة
وهي تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات

وكشف الغطا عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة
فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن
الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة
الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان
مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة
ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والنفس
المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك
عظم الله تعالى امره بالاضافة الى نفسه فقال اني خالق بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له على ان الجسد منسوب الى
الطين والروح منسوب الى الله تعالى والمراد بالروح والنفس في
هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة النفس راسخة يصدر عنها
الافعال بسهولة ويسر من حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث
يصدر منها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا
حسنا وان كان الصادرة منها افعال قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر
خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال
على الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخا ما لم يثبت ذلك في
نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان تصدر منه الافعال بسهولة

من غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب مجهد
وروية لا يقال خلقه السخا والحلم فهاهنا اربعة امور احدها
فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما
والرابع هيئة للنفس بها تميل الى احد الجانبين وتيسر عليه احد
الامرين اما الحسن او القبيح فليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه
السخا ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو
يبذل المال لباعث او لريا وليس عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى
الامساك والاعطا بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة
قادرا على الاعطا والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخا
وليس عبارة عن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل
هو عبارة عن المعنى الرابع وهي الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر
منها الامساك او البذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها
الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف
والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في
الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا
استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو
قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى

الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها
درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل
في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا انصلحت هذه
القوة حصلت منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي
التي قال تعالى فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ۝ واما
قوة الغضب فحسنها في ان تقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما
تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في ان يكون
تحت اشارة الحكمة اعني تحت اشارة الدين والعقل واما قوة العدل فهي
في ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع فالعقل
منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها منزلة
المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة ۝
ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله
وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها
مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا
وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو
حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق
بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون

بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالسخاء وحسن
قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب
عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان
سمي جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها
وان مالت الى النقصان سمي جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة
والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفا زيادة
ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها
عند الاستعمال في الاغر[اض الفا]سدة خبا وجربزه ويسمى طرفها
الاخر بلها والوسط هو [الذي يخ]تص باسم الحكمة فاذا امهات الاخلاق
واصولها اربعة الحكمة [والشج]اعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة
حالة للنفس بها يدرك [الصو]اب من الخطا في جميع الافعال الاختيارية
ونعني بالعدل حالة للن[فس وق]وة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما
على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها
ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها
ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأدب العقل والشرع فمن اعتدال هذه
الاصول الا[ر]بعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل
يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والفطن

الذهن

لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطه تصدر الجربزه
والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطه يصدر البله والغمارة والحمق
والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل وقد
يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون ان الا[حمق]
مقصوده صحيح ولكن سلوكه للطريق فاسد ولا يكون رويته صحيحة في طريق
الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون
اصل ايثاره واختياره فاسدا واما خلق الشجاعة يصدر منه الكرم
والمجد والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ
والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور
فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما
تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس
والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخا
والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة
والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط او التفريط فيصدر
منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء
والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء
واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل

حمق

عن

الاربع وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها
ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه
وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب
منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله بقدر قربه من رسول الله وكل
من جمع هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطلقا يرجع الخلق
كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن جملة هذه
الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد
فانه قد قرب من الشيطان الرجيم اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول
قرب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول
الله الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال عليه السلام وقد اشار القرآن
الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل
الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو
قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال وهو السخا
الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي
ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد
وصف الله الصحابة فقال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة

الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة
بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق
وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه **بيان قبول
الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة** اعلم ان بعض من غلبت البطالة
عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس
وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه
وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها وان الطباع لا تتغير
واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق
هو صورة الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل
لا يمكنه ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر على ان يجعل نفسه
طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته وكذلك القبح الباطن يجري
هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة
وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج
والطبع وانه لا ينقلع قط عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان
بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ
العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل
التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي
وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس
والكلب من الاكل الى التادب والفرس من الجماح الى السلاسة وكل
ذلك تغيير الاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان
نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل لاختيار الادمي في اصله
وتفصيله كالسما والكواكب بل اعضا البدن داخلا وخارجا من ساير
اجزا الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من
وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لكمال
بعد ان شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست
بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلا اذا انضاف اليها
التربية ولا تصير تفاحا اصلا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة
بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة
لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا
ولو اردنا اسلاسهما وقهرهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه
وقد امرنا بها وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى
نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول
ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة

الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتفكر موجود في الانسان
ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم
وجودا اذ الصبي في مبدا الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين
ربما تخلق له الغضب وبعد ذلك تخلق له قوة التمييز والسبب الثاني
ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد
كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب الاولى وهو الانسان
الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر
عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم ايضا شهوته باتباع
اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا ولا يحتاج الا الى معلم ومرشد
والى باعث في نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان
الثاني ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح بل
زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رايه
لاستيلا الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول
اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قطع ما رسخ في نفسه من كثرة
التعود للفساد والاخر ان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح
ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمر وحزم
الثالث ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة

وانها حق وجميل ونبه عليها فهذا يكاد يمتنع معالجته ولن يرجى
صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال والرابع
ان يكون مع وقوع نشوه على الراى الفاسد وتربيته على العمل به
يرى الفضيلة فى كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهى به ويظن
ان ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفى مثله قيل من
التعذيب تهذيب الذيب والاول من هولاء جاهل فقط والثانى
جاهل وضال فقط والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل
وضال وفاسق وشرير واما الخيال الاخر وهو ان الادمى ما دام حيا
ولا ينقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وساير هذه
الاخلاق وهذا غلط وقع لطايفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة
قمع هذه الصفات بالكلية وهيهات فان الشهوة خلقت لفايدة
وهى ضرورية فى الجبلة ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان
ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية
لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقى اصل الشهوة
فيبقى لا محالة حب المال الذى يوصله الى الشهوة حتى يحمل على امساك
المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى
الاعتدال الذى هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب فى صفة الغضب

حسن الحمية وذلك ان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة
ان يكون فى نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال
تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة
عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد
قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء لم ينفكوا عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم
بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا
وكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل
الفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى الاعتدال بحيث لا تقهر
العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه ممكن
وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث
لا تقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة يعود
الى حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على
ذلك دلالة لا يشك فيه والذى يدل على ان المطلوب الوسط فى الاخلاق
دون الطرفين ان السخا خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفى التبذير
وقد اثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك

ولا بتسلطها كل التسلط وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال
دون الشره والخمود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال
تعالى في الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير الامور اوسطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة
بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من اتى الله
بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا وشرط
القلب ان يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا
على امساكه ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف
القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب اليه وان
القلب ان يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما
هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر
لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك
السخا بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين
الشره والخمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا الطرفين في قصد الامور ذميم
فهذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان
يقبح عنده الغضب راسا وامساك المال راسا ولا يرخص في شيء منه
لانه لو رخص في ادنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استيفاء كله وغضبه وظن

انه القدر المرخص فيه واذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر
له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يطلب
قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد
فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق
بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة قد عرفت ان حسن
الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب
والشهوة وكونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على
وجهين احدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل
العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين
منقادتين للعقل والشرع فيصير بغير معلم عالما وبغير مؤدب مؤدبا
كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وكذا سائر الانبياء عليهم السلام ولا
يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق
صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل فيه ذلك بالتعود
ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني
الاكتساب بهذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني به حمل النفس
على الاعمال التي يقتضيها المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق
الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال

يواظب عليه متكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا
ويتيسر عليه فيصير نفسه جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق
التواضع وغلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين
مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير له خلقا
وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق
وغايتها ان يصير الفعل الصادر عنه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ
بذل المال دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ
التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة
ولم يترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة يشتاق الى
الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال عليه
السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات
مع كراهة واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة
عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن
طوع ولذلك قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال عليه
السلام اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير
ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة
واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون ذلك على

الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارجح
واكمل ولذلك لما سئل عليه السلام عن السعادة فقال طول
العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا
مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب
اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود
العبادات تاثيرها في القلب وانما يتاكد اثارها بكثرة المواظبة على العبا دات
وغاية هذه الاخلاق ان ينقلع عن النفس حب الدنيا وترسخ فيها حب الله
ولا يكون شيء احب اليه من لقاء الله فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه
الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا
على الوجه الذي يوصله الى الله وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع
والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به ومتلذذا ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلاة
قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب
اعجب من ذلك فانا نرى الملوك والمتنعمين في احزان دائمة ونرى المقامر
المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه لا يستنكر معه
فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلبه ماله وخرب داره وتركه
مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له وصرفه نفسه
اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول نهاره في حر الشمس قائما على

رجليه وهو لا يحس بالمه لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها
في جو السما بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع
والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به الى الصلب وهو مع ذلك متبجح
بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك يرى نفسه فخرا لنفسه حتى يقطع
الواحد منهم اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطى غيره فيصر على الانكار
ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد
صارت احواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة
اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم
الوجه ومخالطة النسا فترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله
في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين
التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلما وكل ذلك نتيجة العادة
والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك
من المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل
الى القبايح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والتزمت المواظبة عليه
بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل الى
اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة واما ميله الى
الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب

وانها سبب حياته وكل قلب مال الى حب شي سوى حب الله تعالى
فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشي لكونه
معينا له على حب الله وعلى دينه فعند ذلك لا يدل على المرض فاذا
عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة
وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتدا ليصير طبعها انتها وهذا من
عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة
تظهر في القلب فيفيض اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على
وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب والامر
فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في
الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى
بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة
وهو محاكاة الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه
بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة في
نفسه فيصدر منه بالاخرة الخط الحسن طبعا كما كان يصدر
منه في الابتدا تكلفا وكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا
ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انخفض
من النفس اثر الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك

طى

من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقها
وهو التكرار للفقه حتى ينعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير
فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا
فيلزمه ان يتعاطى افعال هولاء تكلفا حتى يصير له ذلك بالعادة طبعا
ولا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ياس من هذه الرتبة
بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها
وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها
بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة
المويدة ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا
حتى تانس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا فيفوته فضيلة الفقه
فكذلك صغاير المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة
بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تاثيره في
تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيا شيا على التدريج مثل نمو
البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تاثيرها
في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل
الطاعات فان الجملة الكثيرة منها موثرة وانما اجتمعت الجملة من
الاحاد فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي ولها لا محالة

ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذا المعصية وكم من فقيه يستهين
بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما يوما الى
ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين صغاير المعاصي ويسوف
نفسه بالتوبة على التوالي اما ان يختطفه الموت بغتة او يتراكم ظلمة
الذنوب على قلبه ويتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير ويصير
القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصها من مخالبها وهو
المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين
ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الاية ولذلك قال علي رضي الله عنه
الايمان يبدو في القلب نكتة بيضا كلما ازداد الايمان ازداد ذلك
البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق
ليبدو في القلب لمعة سودا كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد
فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله واذا عرفت ان الاخلاق
الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الافعال الجميلة
وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم
قرنا الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير
جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات حتى صار ذا فضيلة طبعا
واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق

له الا قران السوء ويتيسر له اسباب الشر حتى يعود فهو في غاية البعد
من الله تعالى وبين المرتبتين مراتب تختلف به هذه الجهات ولكل
درجة في القرب والبعد بحكم ما يقتضيه صفته وحالته ومن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله
ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۞ **بيان تفضيل الطريق** الى تهذيب
الاخلاق • قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس
والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيه كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو
صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول
مثال النفس في علاجها بمحو الرذايل والاخلاق الرديئة عنها وكسب
الفضايل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن وعلاجه بمحو العلل
عنه وكسب الصحة اليه وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال
وانما تعتري العلة المغيرة لعوارض الاغذية والاهوية والاحوال
فكذلك كل مولود يولد صحيحا فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
اي بالتعود والتعلم يكسب الرذايل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق
كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذا فكذلك النفس تخلق
ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية
بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظة

للصحة وان كان مريضا فشانه جلب الصحة اليه فكذا النفس منك
ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها
وحفظ صفتها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان
كانت عديمة الكمال والصفا فينبغي ان تسعى للجلب وكما ان العلة
المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها ان كانت
من حرارة فبالبرودة وان كانت برودة فبالحرارة فكذا الرذيلة التي
هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالعلم ومرض البخل
بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشهوة بالكف عن المشتهى تكلفا
وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدوا وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج
الابدان المريضة فلا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض
القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه الموت ومرض القلب والعياذ
بالله عذاب يدوم بعد الموت ابد الاباد وكما ان كل مبرد لا يكفي لعلة
سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة
والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد من معيار يعرف
مقدار النافع منه وان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقيض
الذي يعالج به الاخلاق لا بد له من معيار وكما ان معيار الدوا ماخوذ من
عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لا يعرف ان العلة من حرارة او

برودة وان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي ضعيفة او قوية
فاذا عرف التفت معه الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة
المريض وسنه وساير احواله وعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع
الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم
عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف
اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد
قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة
اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وفي
ومزاجه وما يحتمله بنيته من الرياضة ويبني عليه رياضته فان كان
المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلاة
وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام او مقارفا لمعصية
فيامره اولا بتركها فاذا تزين بالعبادات ظاهره وطهر عن المعاصي
الظاهرة جوارحه نظر بقراين الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض
قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه
وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان راى الرعونة
والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيامره ان يخرج الى السوق للكدية
والسؤال فان عز الرياسة لا ينكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل

السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك حتى ينكسر كبره وعزه فان الكبر
من الامراض المهلكة وكذا الرعونة وان راى الغالب عليه النظافة
في البدن والثياب وراى قلبه مايلا اليه فرحا به ملتفتا اليه
فليستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة
او ملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى يشوش عليه رعونته في النظافة
فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات
الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار ولا فرق
بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله تعالى
فقد حجب عن الله تعالى ومن راعى في ثوبه شيئا غير كونه حلالا وطاهرا
مراعاة يلتفت اليه قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطايف الرياضة
ان النفس اذا كانت لا تسخو بترك الرعونة راسا او بترك صفة اخرى
ولم تسمح بضدها دفعة فينبغي ان ينقل من الخلق المذموم الى مذموم آخر
اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان
الماء لا يزيل الدم ولذلك يرغب الصبي في المكتب بالكرة والصولجان ثم
ينقله من اللعب بالزينة وفاخر الثياب ثم ينقله من ذلك بالترغيب في الرياسة
وطلب الجاه ثم ينقله عن الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح
نفسه بترك الجاه دفعة فلينتقل الى جاه اخف مما هو فيه وكذلك

ان رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام اولا
ثم كلفه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا رأى شابا
متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن النكاح فيأمره بالصوم وربما
لا تسكن شهوته فيأمره بان يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على
الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم رأسا حتى تذل نفسه وتنكسر
شهوته ولا علاج في مبادي الارادة انفع من الجوع وان رأى الغضب غالبا
عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق
ويأمره بخدمة من ساء خلقه ومراعاته حتى يمرن نفسه على الاحتمال
فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان
يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه
حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في
نفسه الجبن وضعف القلب واراد ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان
يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل
عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء
ارادته كان يستثقل نفسه عن القيام فالزم نفسه القيام على رأسه طول
الليلة لتسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع
ماله ورماه في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والريا

البذل فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب فليس غرضنا
ذكر دواء كل مرض فان ذلك سيأتي في بقية الكتب وانما الغرض
الآن التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة
لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله تعالى جميع ذلك
في كلمة واحدة فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى والاصل
المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسر
اسبابها ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر
فانه ان عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت واذا اتفق منه
نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عليها كما ذكرناه في معاقبة النفس
من كتاب المراقبة واذا لم يخوف النفس عقوبته وحسنت عنده تناول
الشهوة وتفسد به الرياضة بالكلية **بيان علامات** مرض القلب
وعلامات عودها الى الصحة اعلم انه كما ان كل عضو من اعضاء
البدن خلق لفعل خاص به فانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق
له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض اليد
ان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار فكذلك
مرض القلب بان يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم
والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بها وايثار ذلك

على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه
قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل
عضو فايده وفايده القلب المعرفه والحكمة وخاصية النفس التي
للآدمي ما تميز به عن البهايم ولم يميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع
او الابصار او غيرها بل معرفة الاشيا على ما هي عليه واصل الاشياء
وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشيا هو الله تعالى فلو عرف
كل شي ولم يعرف الله لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله
احبه وعلامة المحبة ان لا يوثر عليه الدنيا ولا غيره من المحبوبات كما
قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله فتربصوا فمن عنده شي احب اليه من الله فقلبه مريض
كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والما او سقطت شهوتها
عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامة المرض وبهذا يعرف ان القلوب
كلها مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفه صاحبه
ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فكذلك يغفل عنه وان علمه صعب عليه
الصبر على مرارة دوايه فان دواه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح
وان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان
الاطبا هم العلما وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قل ما

يلتفت الى علاجه فلهذا صار الدا عضالا والمرض مزمنا واندرس
هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل
الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات
ومرايات فهذه علامة اصل المرض فاما علامة عوده الى الصحة بعد
المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج دا البخل
فانه المهلك المبعد عن الله وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه
قد يبذل المال الى حد يصير مبذرا فيكون التبذير ايضا داء ويكون
كمن يعالج البروده بالحرارة حتى يغلب الحرارة وهي ايضا داء بل
المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبروده فكذلك المطلوب
الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية
البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل
الذي يوجد الخلق المحذور فان كان اسهل عليك والذ من الذي
يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك
المال وجمعه الذي عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم
ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار
البذل على المستحق الذي عندك واخف عليك من الامساك بالحق
فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك ولا

يزال يراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسر الافعال
وتعسرها حتى ينقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله
ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساكه
لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على
الامساك فكل قلب صار كذلك فقد اتى الله بقلب سليم عن هذا
المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن ساير الاخلاق حتى لا يكون له
علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة
العلايق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند
ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة
في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية
الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى
على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في
الاخرة وقل ما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط
حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال
اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان
مثل البرق قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا

ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين كان قربهم الى الصراط اكثر من
بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو
الله في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم
اذ وجبت الفاتحة في كل ركعة وراى بعضهم رسول الله في المنام
فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك
قال عليه السلام لقوله تعالى فاستقم كما امرت والاستقامة
على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان
في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل
من اراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال
الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته
واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب
بيان الطريق الذي يعرف الانسان به عيوب نفسه اعلم ان
الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت
بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن
اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرون القذى في عين غيرهم
ولا يرون الجذع في عين انفسهم فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله
اربعة طرق الاول ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع

على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع إشارته في مجاهدة
وهو شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه شيخه
وأستاذه عيب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا
الزمان وجوده الثاني أن يطلب صديقا صادقا بصيرا متدينا
وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما يكره من
أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا
كان يفعل الأكابر من أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول
رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم
عليه وقال ما الذي بلغك عني مما كرهته فاستعفى فألح عليه
فقال سمعت أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلتين حلة
بالنهار وحلة بالليل فقال وهل بلغك غير هذا قال لا قال أما هذان
فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول أنت صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار
النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته
لنفسه وكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم
اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز فيقل في الأصدقاء من ترك
المداهنة فيخبر بالعيب ويترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب ولا يخلو

في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا
أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي
اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط قال ماذا أصنع بأقوام يخفون
عني عيوبي فقد كانت شهوة ذوي الدين أن ينبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم
وقد آل الأمر إلى أمثالنا وأبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا
ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات
وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه
منة وفرحنا به واشتغلنا بإبعاد العقرب وقتلها وإنما نكايتها على
البدن ولا يدوم ألمها يوما فما دونه ونكاية الأخلاق الردية على
صميم القلب ونخشى أن تدوم بعد الموت أبد الآباد أو آلافا من السنين
ثم إنا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بإزالتها بل نشتغل بمقابلة
الناصح بمثله ونقول وأنت أيضا تصنع كيت وتشغلنا العداوة
معه عن الانتفاع بنصحه فيشبه أن يكون هذا من قساوة القلب التي
أثمرتها كثرة الذنوب وأصل ذلك كله ضعف الإيمان فنسأل الله تعالى
أن يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب أنفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا
للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله الطريق الثالث
أن يستفيد عيوب نفسه من لسان أعدائه فإن عين السخط تبدي المساوي

ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه
بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع
مجبول على تكذيب العدو وحمله ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو
عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على ألسنتهم
الطريق الرابع ان يخالط الناس وكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق
فيطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المومن مراة المومن
فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع
الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الاخر عن اصله او
عن اعظم منه او عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما
يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه
من غيرهم لاستغنوا عن المودب قيل لعيسى عليه السلام من ادبك
قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حيل من فقد
شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا
عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله نصحا لهم فمن وجد ذلك
فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من
الهلاك الذي هو بصدده **بيان شواهد النقل** من ارباب البصاير
وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب بترك الشهوات

وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات اعلم ان ما ذكرناه
ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل
القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين وان عجزت عن ذلك
فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد
لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل
بعد الايمان وهو وراه قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو
الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين امنوا
واذا اطلع على ما ذكرناه من اغوار الشهوات واسرارها فهو من
الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان
بهذا الامر في القران والسنة واقاويل العلما اكثر من ان يحصى قال
الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال تعالى
اوليك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع عنها محبة الشهوات
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن بين خمس شدايد
مومن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله
ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى
ان الله اوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك

اكل الشهوات فان القلوب المتعاقدة بالشهوات الدنيا عقولها
عن محبوبه وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضره
لموعود غايب لم يره وقال عليه السلام لقوم قدموا من الجهاد
مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قالوا وما
الجهاد الاكبر يا رسول الله قال جهاد النفس وقال عليه السلام
المجاهد من جاهد نفسه في الله تعالى وقال عليه السلام كف
اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله اذا خاصمك يوم
القيامة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر وقال
سفين الثوري ما عالجت شيا اشد من نفسي مرة لي ومرة علي وكان
ابو العباس الموصلي يقول يا نفس لا في ابنا الدنيا مع ابنا الملوك
تتنعمين ولا في الاخرة مع العباد تجتهدين كاني بك بين الجنة والنار
تحبسين الا يا نفس الا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى
اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس
باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام
والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام ٥
فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات
ومن قلة الكلام السلامة من الافات ومن احتمال الاذى البلوغ الى

الغايات وليس على العبد شي اشد من الحلم عند الجفا والصبر
على الاذى فاذا تحرك من النفس ارادة الشهوات والاثام
وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة
الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة
الكلام حتى تنقطع من الظلم والانتقام فتامن من بوايقها من بين سائر الانام
وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوايلها فانها تصير عند
ذلك روحانية لطيفة ونورانية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات
وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفارة في الميدان وكالملك
المتنزه في البستان وقال ايضا اعدا الانسان ثلاثة دنياه
وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان
بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت
عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها ومنعت
قلبه الفوايد وقال جعفر بن حميد اجتمعت العلما والحكما على
ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من
ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال
وهب ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب بن الورد من اراد شهوات
الدنيا فليتهيا للذل ويروى ان امراة العزيز قالت ليوسف عليه السلام

بعد ما ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صير الملوك
عبيدا وان الصبر والتقوى صير العبيد ملوكا فقال يوسف
قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وقال الجنيد أرقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة
التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم أطق
القعود فخرجت فاذا رجل ملتف في عباية مطروحة على الطريق
فلما احس بي قال يا ابا القسم الى الساعة فقلت يا سيدي من غير
موعد فقال بلى سألت محرك القلوب ان يحرك لي قلبك فقلت قد
فعل فما حاجتك فقال متى يصير داء النفس دواها فقلت اذا خالفت
النفس هواها فاقبل على نفسه وقال اسمعي قد اجبتك بهذا سبع
مرات فابيت الا ان تسمعيه من الجنيد قال فانصرف وما عرفته
وقال يزيد الرقاشي السلام على الماء البارد في الدنيا لعلي لا احرمه
في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم قال اذا اشتهيت
الصمت قال فمتى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي
رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا
وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا رأى الشي يشتهيه قال
لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فاذا قد اتفق

العلماء والحكماء على ان لا طريق الى سعادة الآخرة الا بنهي النفس
عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما
علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف بما قدمناه
وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشي مما لا يوجد في القبر
الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن
وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع
بشي منه انس به والف واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا له
حظ في الآخرة ولا خلاص عن ذلك الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله
وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الفكر والذكر
فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه فالناس فيه اربعة
رجل استغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات
المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة
والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني من استغرق الدنيا قلبه فلم
يبق لله ذكر في قلبه الا من حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من
الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه هو
الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة
ذكر الله على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا ولكن الدنيا اغلب على

قلبه فهذا يطول مقامه في النار ولكن يخرج منها لا محالة لقوة
ذكر الله في قلبه وتمكنه في صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب
عليه وربما يقول القايل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون
سبب البعد من الله تعالى فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا راس
كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا ايضا وسياتي ذلك
في كتاب ذم الدنيا وقد قال ابرهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرايت
رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها
حامضة فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا مطروحا قد اجتمع
عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابرهيم
فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله لا يخفى عليه شي فقلت ارى
لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من هذه الزنابير فقال وارى لك
حالا مع الله فلو سالته ان يحميك شهوة الرمان فان لذع الرمان يجد
الانسان المه في الاخرة ولذع الزنابير يجد المه في الدنيا فتركته ومضيت
وقال السري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في دبس
فما اطعمتها فاذا لا امكن اصلاح القلب لسلوك طريق الله ما لم تمنع النفس
من التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات
فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا

عن المهمات حتى تموت منه شهوة الكلام ولا يتكلم الا بحق
فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي
البصر الى كل شي جميل لم يتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك
ساير الشهوات لان الذي يشتهي به الحلال هو بعينه يشتهي به
الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها عن الحرام فان لم يعود
الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذا احد
افات المباحات ووراء هذا افة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح
بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمين اليها اشرا وبطرا حتى تصير ممتلية بها
كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري
في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيمة
وهذا موت القلب قال الله تعالى وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحيوة
الدنيا الا متاع وقال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو
الى قوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور فاولي الحزم من ارباب القلوب
جربوا قلوبهم في حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية نفرة
بعيدة من التاثر بذكر الله واليوم الاخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها
لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدايم
والتباعد من اسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها

الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب
وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيمة فقد
عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك
في الدنيا والاخرة بالخلاص من اسار الشهوات والانس بذكر الله
تعالى والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد
تاديبه ونقله عن توثبه وتوحشه الى الانقياد والتادب فانه
يحبس اولا في بيت ويخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران
في جو الهوا وينسى ما كان قد الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم
حتى يانس بصاحبه ويالفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته
رجع اليه فكذلك النفس لا تالف ربها ولا تانس بذكره الا اذا
فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر عن المالوفات
ثم عودت الثنا والذكر والدعا ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليه الانس بذكر
الله عوضا عن الانس بالدنيا وساير الشهوات وذلك يثقل عليه
في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد
عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاوه وجزعه
عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن
اللبن ولكنه اذا منع اللبن راسا يوما ويوما وعظم تعبه في الصبر وغلبه

الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير طبعا له فلو رد الى الثدي لم
يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويالف الطعام وكذلك
الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك
قهرا وتمنع عن الاسترسال الذي الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم
تانس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك
تودب النفس كما تودب الطيور والدواب وتاديبها بان تمنع عن البطر
والاشر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايله بالموت فيقال له
حبّ ما احببت فانك مفارقه فاذا علمت انه من احب شيا يلزمه
فراقه ويشقى لا محالة بفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر
الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم
بالصبر اياما قلايل فالعمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الاخرة
وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة
وغيرها شهرا ليتنعم بها سنة وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من
الشهر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا
بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق
والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف حاله والاصل فيه
ان يترك كل واحد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال

او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضاء والولاية
او بكثرة الاتباع والتدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به
فرحه فانه ان منع عن شي من ذلك وقيل له ثوابك في الاخرة لم
ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمان
اليها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس
ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله تعالى
والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى
يقمع مادته فمهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا تزول الا بقطع
السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر
الا الموت والسلام **بيان علامات حسن الخلق** اعلم ان كل انسان
فهو جاهل بعيب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك
فواحش المعاصي ربما ظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن
خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق
هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين
والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة
من ذلك ليعلم به حسن الخلق فقد قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين
هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون وقال تعالى

التائبون العابدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال تعالى انما
المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك
هم المؤمنون حقا وكذلك قال وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى اخر السورة
فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع
هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق
ووجود بعضها دون البعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل
بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده ووصف رسول الله صلى الله
عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق
فقال عليه السلام المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال
عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقال
عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وقال عليه
السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان
صفات الايمان هي حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم
خلقا وقال عليه السلام اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا
منه فانه يلقن الحكمة وقال عليه السلام من سرته حسنته وساءته
سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل لمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة يؤذيه

وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان
بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره ٭ وجمع
بعضهم علامات حسن الخلق فقال ان يكون كثير الحيا قليل الاذى
كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل
الفضول وصول وقور صبور رضي شكور حليم رفيق عفيف شفيق
لا لعان ولا سباب ولا نمام ولا مغتاب ولا عجول ولا حقود ولا
بخيل ولا حسود هشاش بشاش يحب في الله ويبغض في الله ويرضى
في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن علامة المومن والمنافق فقال ان المومن همته في
الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب ٥
كالبهيمة وقال حاتم الاصم المومن مشغول بالفكر والعبر والمنافق
مشغول بالحرص والامل والمومن ايس من كل احد الا من الله والمنافق
خايف من كل احد الا من الله والمومن يقدم ماله دون دينه والمنافق
يقدم دينه دون ماله والمومن يحسن ويبكي والمنافق يسي ويضحك
والمومن يحب الوحدة والخلا والمنافق يحب الخلطة والملا والمومن
يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمومن يامر
وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واول ما

يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفا ومن شكى
من سو خلق غيره فيدل على سو خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى ٥
فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه انس
فادركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ
الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من
مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضحك ثم امر بعطايه ولما اكثر قريش ايذاه وضربه قال اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى انك لعلى خلق
عظيم وحكي عن ابرهيم بن ادهم انه خرج الى بعض البراري فاستقبله
رجل جندي فقال له انت عبد فقال نعم قال اين العمران فاشار الى
المقبرة فقال الرجل انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك
فضرب راسه بالسوط فشجه موضحة ورده الى البلد فاستقبله
اصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي فقالوا هذا ابرهيم بن ادهم
فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجله وجعل يعتذر اليه فقيل
له لم قلت انا عبد فقال انه لم يسالني انت عبد من بل قال لي انت
عبد قلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب راسي سالت الله تعالى له

الجنة فقيل له انه ظلمك فكيف سالت الله تعالى له الجنة
فقال علمت اني اوجر على هذا فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير
ونصيبه مني الشر ودعى ابو عثمان الحيري الى دعوة وكان الداعي
يريد تجربته فلما بلغ منزله قال ليس لي وجه هذا فرجع ابو عثمان
فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال يرجع على ما يوجب الوقت
فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاءه
الثالثة حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان لم يتغير فقال انما اردت
ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ابو عثمان الذي رايت مني هو خلق
الكلب الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروي ان ابا عثمان اجتاز
بسكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك
عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل الا زبرتهم فقال من استحق النار فصولح على
الرماد لم يجز ان يغضب وروي ان علي بن موسى بن الرضى كان يميل لونه
الى السواد اذ كانت امه سوداء وكان له بنيسابور على باب داره
حمام وكان اذا دخل الحمام فرغ له الحمام فدخل ذات يوم فاطبق باب الحمام
ومر الحمامي الى بعض حوايجه فتقدم انسان رستاقي الى باب الحمام
ودخل ونزع ثيابه ودخل الحمام فراى علي بن موسى فظن انه بعض الخدم
الحمام فقال له قم فاحمل الى الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان

يامره فرجع الحمامي فراى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن
موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى وسال عن
الحمامي فقيل انه خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي ان يهرب
انما الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوداء وروي ان عبد الله الخياط
كان يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة
وكان اذا خاط له ذلك المجوسي حمل اليه دراهم زيوفا وكان
عبد الله ياخذها ولا يخبره بذلك ولا يرده عليه فقضي من القضا
ان عبد الله قام من الحانوت لبعض حوايجه فتقدم المجوسي الى التلميذ
واسترجع منه ما خاطه ودفع اليه درهما زايفا فلما نظر فيه
التلميذ فرده عليه فلما عاد عبد الله اخبره بذلك فقال بيس ما
عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ مدة وانا اصبر عليه
فاخذ الدراهم والقاه في البير كيلا يغر به مسلما وقال يوسف
ابن اسباط علامة حسن الخلق عشرة اشيا قلة الخلاف وحسن
الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس
المعذرة واحتمال الاذى والرجوع باللائمة على نفسه والتفرد بمعرفة
عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير
ولطف الكلام لمن هو دونه ومن فوقه وسيل سهل عن حسن الخلق

فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم
والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن
تعلمت الخلق فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من خلقه
قال بينما هو جالس في داره اذ جاءت خادمة له بسفود عليه
شوا فسقط من يدها فوقع على ابن له ومات فدهشت الجارية
فقال لا روعة عليك انت حرة لوجه الله وقيل كان اويس
القرني اذا راه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول ان كان ولا
بد فارموني بالصغار كيلا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلاة وشتم
رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب الحي وقف فقال ان
بقي في قلبك شيء فقله كيلا يسمع بعض سفهاء الحي فيجهلوا وروي
ان عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا
فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام
فقال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت
فقال امض فانت حر لوجه الله وقالت امراة لمالك بن
دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة
وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام
قال لا تعلم عليه الحلم فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت

اخلاقها ونفيت عن الغش والغل بواطنها فاثمرها الرضى
بكل ما قدره الله وهو منتهى حسن الخلق وان من يكره
فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلاما
على ظواهرهم كما ذكرناها فمن لم يصادف من نفسه هذه
العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل
ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن
الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ووجه
تاديبهم وتحسين اخلاقهم اعلم ان الصبي امانة عند والديه
وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة
وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير
وعلم نشا عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشارك في ثوابه ابواه
وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي
وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقد قال تعالى
قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه من نار الدنيا
فبان يصونه من نار الاخرة اولى وصيانته بان يؤدبه ويهذبه
ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده

النعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في
طلبها اذا كبر ويهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من
اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امراة صالحة
متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه
فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه
الى ما يناسب الخبائث ومهما بدا فيه مخايل التمييز فينبغي ان
يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحيا فاذا كان يحتشم
ويستحيي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور
العقل عليه حتى يرى بعض الاشيا قبيحا ومخالفا للبعض فصار
يستحيي من شي دون شي وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة
تدل على اعتدال الاخلاق وصفا القلب وهو مبشر بكمال العقل
عند البلوغ فالصبي المستحيي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تاديبه
بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام
فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه ويقول
بسم الله عند اخذه ويأكل مما يليه ولا يبادر الى الطعام قبل غيره
ولا يحدق الى الطعام والى من ياكل ولا يسرع في الاكل ويمضغ
الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه

ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى
الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر الاكل
بالبهايم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح بين
يديه الصبي المتادب القليل الاكل ويحبب اليه الايثار بالطعام
وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان ويحبب
اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان
ذلك شان النسا والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر
عليه ذلك ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان
يستنكر ويذم ذلك ويحفظ الصبي من الصبيان الذين عودوا
التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه
ما يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل في ابتدا نشوه خرج في الاكثر
ردي الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد
ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بالتاديب ثم ينبغي ان يشغل في
المكتب فيتعلم القران واحاديث الاخيار وحكايات الابرار واحوالهم
لينغرس حب الصالحين في نفسه ويحفظ من الاشعار التي فيها ذكر
العشق واهله ويحفظ عن مخالطة الادبا الذين يزعمون ان ذلك
من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفسا

ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه
ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف
ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل ولا يهتك ستره
ولا يكاشف ولا يظهر انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله لا سيما
اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك ربما يفيده
جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك فان عاد ثانيا فينبغي
ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال اياك ان يطلع عليك في مثل
هذا فتفتضح بين يدي الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل
حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع
الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه لا يوبخه
الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع
النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش
الوطية حتى تتصلب اعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود
الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله
في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح واذا ترك تعود فعل
القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه
الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل

يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه
والداه او بشيء من مطاعمه وملابسه ولوحه ودواته ويعود
التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع
ان ياخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة ان كان من اولاد المحتشمين
بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وان الاخذ لوم وخسة
وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الاخذ والطمع مهانة وذلة وان
ذلك من داب الكلب فانه يتبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى
الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما اكثر من
التحذير من الحيات والعقارب فان افة حب الذهب والفضة والطمع
فيهما اكثر من افة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا
وينبغي ان يعود ان لا يبزق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره
ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه
ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية
الجلوس وينبغي ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقا
حة
وانه عادة ابناء اللئام ويمنع اليمين راسا صادقا او كاذبا حتى لا يتعوده
في الصغر ويمنع من ان يبتدئ بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر
السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم من هو اكبر سنا منه وان يقوم

لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام
وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شي
من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء واصل تاديب
الصبيان الحفظ من القرناء السوء وينبغي ان ضربه المعلم ان لا يكثر
الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل يصبر فيذكر ان ذلك
داب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ داب المماليك والنسوان
وينبغي ان يوذن له بعد الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا يستريح
اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي عن اللعب
وارهاقه الى التعلم دايما يتعب قلبه ويبطل ذكاه وينغص العيش
عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا وينبغي ان يعلم طاعة
والديه ومعلمه ومودبه وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي
وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما
بلغ سن التمييز ينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة
ويومر بالصوم في بعض الايام من رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب
ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل
الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان
فاذا وقع نشوه كذلك في الصبي فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف

اسرار هذه الامور ويذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود
منها ان يقوى الانسان بها على عبادة الله وان الدنيا كلها لا
اصل لها اذ لا بقا لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا
دار مقر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود
من الدنيا للاخرة حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعمته
فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا موثرا
نافعا يثبت فيه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك
حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين
والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحايط عن التراب اليابس
واوايل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي خلق بجوهره قابلا
للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه
يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال سهل التستري كنت ابن ثلاث
سنين وكنت اقوم بالليل انظر الى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي
خالي يوما الا تذكر الله الذي خلقك قلت كيف اذكره قال قل بقلبك
عند تقلبك في ثيابك ثلث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله
معي ناظر الى الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال

قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل كل ليلة
احدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد
سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر
فانه ينفعك في الدنيا والاخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت
لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه
وهو ناظر اليه وشاهده يعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو
فبعثوني الى المكتب فقلت لاخشى ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا
المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب
وحفظت القرآن وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم
الدهر وقوتي من خبز الشعير اثني عشرة سنة فوقعت لي مسألة وانا
ابن ثلث عشرة سنة فسألت ان يبعثوا بي الى البصرة اسأل عنها
فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف عني احد شيئا فخرجت الى
عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسألته
عنها فاجابني عنها فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه واتادب بادبه
ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصارا على ان يشترى لي بدرهم
من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية
واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم

عزمت على ان اطوي ثلث ليال ثم افطر ليلة ثم خمس ثم سبع ثم
خمس وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض
سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله قال احمد فما رايته
اكل الملح حتى لقي الله تعالى **بيان شروط الارادة** ومقدمات
المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة. اعلم ان من شاهد
الاخرة بقلبه مشاهدة بعين اصبح بالضرورة مريدا حرث
الاخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها
فان من كان معه خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم تبق له رغبة في الخرزة
وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة فمن ليس مريدا للاخرة وطالبا للقاء الله
تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الاخر ولست اعني بالايمان حديث
القلب وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك
يضاهي من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة
الا لفظها واما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا
يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم
السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم
الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله
الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم

امر الاخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم
وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه
منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء
وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة
والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله عن السالكين
ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب
غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من
نفسه او من تنبيه غيره وانبعث له ارادة في حرث الاخرة وتجارتها
فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله
معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من
الاعداء القطاع لطريقه وله وظائف لا بد من ملازمتها في وقت
سلوك الطريق ٥ اما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهو
رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن
الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال تعالى وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فهم لا يبصرون والسد بين المريد
وبين الحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرتفع حجاب
المال بان يفرقه ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر ضرورته فما دام

يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى
وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه وبالتواضع وايثار
الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق
وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى
قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق
صدقه بان يرفع كل معبود سوى الله تعالى واعظم معبود له الهوى
حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه
تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان
غلب عليه التعصب لعقيدته ولم يبق في قلبه متسع لغيرها صار ذلك
قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا
واما المعصية فهي حجاب فلا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم
وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم
وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة
واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على
اسرار القران وتفسيره وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة
عربية القران لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منه الى اسرار
معانيه فكذا لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا واخرا ثم الترقي

الى اشراره واغواره فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد
عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضا ورفع الحدث وصار
صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدى به فكذلك المريد
يحتاج الى شيخ واستاد يقتدى به لا محالة ليهديه الى سواء
السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة
ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة الى طرقه
فمن سلك البوادى المهلكة بنفسه من غير خفير فقد خاطر
بنفسه واهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التى تنبت بنفسها
فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم
المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك
الاعمى على شط النهر بالقايد بحيث يفوض اليه امره بالكلية
ولا يخالفه فى ورد ولا صدر ولا يبقى فى متابعته شيئا ولا يذر
ويعلم ان نفعه فى خطا شيخه لو اخطا اكثر من نفعه فى صواب
نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه
ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو اربعة
امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا الحصن من القواطع
فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد ربه ويصلح لقربه اما

الجوع فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفى بياضه نوره ويذيب
شحم الفؤاد وفى ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان
قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك
العدو فان مجاريه العروق الممتلية بالشهوات قال عيسى عليه
السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم
قال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون
والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففايدة الجوع فى تنوير
القلب ظاهر يشهد له التجربة وسياتى بيان وجه التدريج فيه
فى كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره
وينضاف الى الصفا الذى حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب
الدرى والمراة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع
الدرجات فى الاخرة وحقارة الدنيا وافاتها فيتم به رغبته عن
الدنيا واقباله على الاخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر
مع الشبع غير ممكن والنوم يقسى القلب ويميته الا اذا كان بقدر
الضرورة فيكون المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل فى صفة الابدال
ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابرهيم الخواص
اجتمع سبعون صديقا على ان كثرة النوم من شرب الماء واما الصمت

فانه يسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم
له بطعام وشراب وتدبير امر فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة
فان الكلام يشغل القلب وشره القلب للكلام عظيم فيستروح اليه
ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستريح اليه فالصمت يلقح
العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففايدتها
دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب
والقلب في حكم حوض انصب اليه مياه كدرة قذرة من انهار
الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه و
الطين الحاصل منها ليحفر اصل الحوض فيتفجر منه الماء اللطيف
الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه
فيتجدد في كل حالة اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن
قدر الضرورة وليس ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن
له مكان مظلم فليلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء او ازار
ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة
الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو
على هذه الصفة فقيل له يا ايها المدثر يا ايها المزمل وهذه
الاربعة جنة وحصن يدفع عنه القواطع ويمنع العوارض

القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك
الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله
الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك
العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل
فالاسهل وهي اعني تلك الصفات اسرار العلائق التي قطعها في اول
الارادة واثارها اعني اثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات
الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد وان يخلي الباطن عن اثارها
كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة
ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص مكفي قد كفي اكثر
الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان المجاهدة
مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد
كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه
علقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من
تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرايض والرواتب ويكون
ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب
لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه
ملتفتا الى علايقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر على قلبك

من الجمعة الى الجمعة التي تأتي شيء عند الله فحرام عليك
ان تأتيني وهذا التجرد لا يصح الا مع صدق الارادة واستيلاء
حب الله على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر
الذي ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه الشيخ زاوية
ينفرد بها ويوكل به من يقوم به بقدر يسير من القوت الحلال
فان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا
من الاذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا
الله الله او سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات ولا
يزال يواظب عليه حتى يسقط حركة لسانه ويكون الكلمة
كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب حتى
يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا
يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة
معناه لازما للقلب حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ القلب عن
كل ما سواه لان القلب اذا شغل بشيء خلي عن غيره اي شيء كان فاذا
شغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند
ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا
وما يتذكر فيه مما مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل

بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة
وكان ذلك نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوسا[وس]
كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه
الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها
وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الكفر
والبدعة فربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كا
ن كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي
منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله منزه عنه ولكن الشيطان يلقي
ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر
الله ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي
ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة
او نشاط او التفات او علقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر
ذلك لشيخه ويستر عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه
ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه
وأمره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على

الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما
ينكشف له حقيقته واذا علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله
رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر
دليل قريب من فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه
مهالك الطريق ومواقع اخطارها وكم من مريد اشتغل بالرياضة
فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه
فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك
العظيم ومن تجرد للفكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم
يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر
وان سلم كان من ملوك الدين وان اخطا كان من الهالكين
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو
تلقن اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال
باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولهذا يجب
على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا
من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال
الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر
لتشمله بركتهم فان العاجز عن المجاهدة في صف القتال ينبغي

ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم
وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر
والفكر تقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح
بما ينكشف من الاحوال وما يبدو من اوائل الكرامات ومهما
التفت الى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك
فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره
ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم
عليه ورأس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السائحين
قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق
وقال مرة قلت له دلني على عمل اجد فيه قلبي مع الله تعالى في
كل وقت على الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة
قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا
بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين
اظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم
هلاك قلت هذه العلة قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام
الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل على
الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذا منتهى الرياضة ان يجد قلبه مع الله

ابدا ولا يمكن خلوه الا بان يخلو من غيره ولا يخلو من غيره الا
بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله انكشف له جلال الحضرة
الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطايف رحمته ما لا يجوز ان
يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا واذا انكشف للمريد شي من
ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا وان يتصدى
للتذكير فيجد النفس فيه لذة ليس وراها لذة فتدعوه تلك
اللذة الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ
عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القران
والاخبار وتحسين صورة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع
والشيطان ربما يخيل اليه ان هذا منك احيا القلوب الموتى
الغافلين عن الله وانما انت واسطة بين الله وبين الخلق لدعوة
عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح
كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون احسن كلاما واجزل
لفظا واقدر على جلب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب
الحسد لا محالة ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق
حرصا على دعوة عباد الله الى الصراط المستقيم فيعظم به فرحه
فيقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن يوازرني على اصلاح

عباده كالذي وجب عليه ان يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضايعا
وتعين عليه ذلك شرعا فجا من اعانه عليه فانه يفرح به ولا
يحسد معينه والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون
ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح به وهذا
عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه
اعظم حبايل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح له اوايل
الطريق فان ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان
ولذلك قال تعالى كلا بل توثرون الحياة الدنيا ثم بين ان
الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال
تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى فهذا
منهاج رياضة المريدين وتربيته في التدريج الى لقا الله
واما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي فان اغلب الصفات
على الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعني الشهوات المتعلقة بها
ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان
شهوة البطن والفرج وانس بهما احب الدنيا ولم يتمكن منها
الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر
والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك

الدين اصلا متمسكا من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور
فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع
المهلكات بثمانية كتب، كتاب في كسر شهوة البطن والفرج
وكتاب في كسر الغضب والحسد والحقد، وكتاب في كسر
شره الكلام، وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها، وكتاب
في كسر حب المال وذم البخل، وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه
وكتاب في الكبر والعجب، وكتاب في مواقع الغرور، وبذكر
هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع
المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو
شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات
وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب
الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانما يأتي
في هذه الكتب ان شاء الله تعالى

كتاب كسر الشهوتين

شهوة البطن والفرج وهو الكتاب الثالث
من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه
وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم
بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه
المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه
بما يزيد على مهمات مقاصده بل يفي بامانيه فهو الذي يرشده
ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا
ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ثم يرتضيه وهو
الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه
بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل
القوت ويقويه حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر
به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرهما ثم يعبد ربه ويتقيه
هذا بعد ان يوسع عليه مما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه مما
يهيج بواعثه ودواعيه كل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف
يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه
ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه، والصلاة على محمد
عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه
وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار
من صحابته وتابعيه، اما بعد فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة

البطن فبها اخرج آدم وحوا من دار القرار الى دار الذل
والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى اكلا منها
فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت
الآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم
يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذان هما
الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار
المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات
ثم يتولد منهما آفة الريا وغايلة التفاخر والتكاثر والكبريا ثم
يتداعى ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضا ثم يفضي
بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشا وكل ذلك ثمرة اهمال
المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلا ولو ذلل العبد نفسه
بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم يسلك
سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا
وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا
واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوايلها
وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه
على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة

لها ونحن نوضح ذلك بعون الله في فصول يجمعها بيان فضيلة
الجوع ثم فوايد الجوع ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن
بالتقليل من الطعام والتاخير ثم اختلاف حكم الجوع وفضيلته
باختلاف احوال الناس ثم بيان الريا في ترك الشهوة ثم القول
في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله
ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر
المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع
وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل
ملكوت السما من ملا بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال
من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال صلى الله عليه
وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال
ابو سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم البسوا واشربوا
وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن
قال عليه السلام الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي
العبادة وقال الحسن قال عليه السلام افضلكم منزلة عند

الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله كل نؤوم اكول
شروب وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير
عوز اي مختارا له وقال عليه السلام ان الله يباهي الملايكة بمن قل
طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب
في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملايكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته
بها درجات في الجنة وقال عليه السلام لا تميتوا القلوب بكثرة
الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء
وقال عليه السلام ما ملأ ادمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم
لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه
وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة
الطويل ذكر فضل الجوع اذ فيه ان اقرب الناس من الله تعالى يوم
القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفياء
الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم
بقاع الارض وتحف بهم ملايكة السما نعم الناس بالدنيا ونعموا
بطاعة الله افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب
ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها هم تبكي الارض اذا فقدتهم
ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم لم يتكالبوا على الدنيا

تكالب الكلاب على الجيف اكلوا الفلق ولبسوا الخرق شعثا
غبرا يراهم الناس يظنون ان بهم دآء وما بهم دآء ويقال
قد خولطوا او ذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم
بقلوبهم الى امر ذهبت عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون
بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الاخرة
يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا
يعذب الله تعالى قوما هم فيهم الارض بهم رحمة والجبار عنهم راض
اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان تموت
وبطنك جايع وكبدك ظمآن فانك تدرك بذلك شرف المنازل
وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملايكة ويصلي عليك الجبار
روى الحسن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا
في ملكوت السما وقال عيسى عليه السلام اجيعوا اكبادكم واعروا
اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروى ذلك عن نبينا عليه السلام
ايضا رواه طاوس وفي التوراة مكتوب ان الله تعالى ليبغض الحبر
السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح
خصوصا بالحبر فلاجله قال ابن مسعود ان الله يبغض القاري السمين

وفي خبر مرسلا ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا
مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع
يورث البرص وقال عليه السلام المؤمن ياكل في معى واحد
والمنافق ياكل في سبعة امعا اي ياكل سبعة اضعاف المؤمن
او تكون شهوته سبعة امثال شهوته ويكون المعا كناية عن الشهوة
لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتاخذه كما تاخذه المعا وليس
المعنى عدد زيادة معى المنافق على معى المؤمن وروى الحسن عن عايشة
رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ادميوا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف ندم قرع باب
الجنة قال بالجوع والظما وروى ان ابا جحيفة تجشا في مجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اقصر من جشايك فان اطول الناس جوعا
يوم القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عايشة تقول ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلي قط شبعا وربما بكيت رحمة
له مما اوى من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفدا
لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول
يا عايشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد
من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم

فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر
اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شي
احب الي من اللحوق باخواني واخلاي قالت عايشة والله ما بعد
ذلك جمعة حتى قبضه الله وعن انس قال جات فاطمة بكسرة
خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة
قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه الكسرة
قال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام وقال ابو
هريرة ما اشبع النبي اهله ثلاثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى
فارق الدنيا قال عليه السلام ان اهل الجوع في الدنيا هم
اهل الشبع في الاخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملاء
وما ترك عبد اكله يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة
واما الاثار فقد قال عمر بن الخطاب اياك والبطنة فانها
ثقل في الحياة نتن في الممات قال شقيق العبادة حرفة وحانوتها
الخلوة والتها المجاعة وقال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضا عن العبادة
وقال الفضل بن عياض لنفسه اي شي تخافين لم تخوعين لا تخافي
ذلك انت اهون على الله من ذلك انما الجوع محمد واصحابه وكان

كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليالي اجلستني فباي
وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي اذا اشتد مرضه
وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك
فباي عمل اودي شكر ما انعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت
لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه
عن الناس فقال لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جايعا وامسى جايعا
وهو عن الله راض وكان الفضيل يقول اجعتني واجعت عيالي
وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فباي
منزلة هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبه وجوع
التائبين تجربه وجوع المجتهدين كرامه وجوع الصابرين سياسه
وجوع الزاهدين حكمه وفي التوراة اتق الله واذا شبعت فاذكر
الجايع وقال ابو سليمن لان اترك لقمه من عشاي احب الي
من قيام ليله الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزاينه لا
يعطيه الا من احبه وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما
لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنه درهم وكان يعظم الجوع ويبا لغ
فيه حتى قال لا يوافي القيمة عمل بر افضل من ترك فضول الطعام
والاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس

شيا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيا اضر على
طلاب الاخرة من الاكل وقال وضع العلم والحكمة في الجوع
وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ما عند الله شي افضل من مخا لفه
في ترك الحلال وقال في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما
ياكل من حسناته وسيل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون
الترك احب اليه من الاخذ ويكون اذا جاع ليلة سال الله ان يجعلها
ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال صار الابدال ابدالا
باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال راس كل بر بين
السما والارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع
نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله على العبد بالجوع
والسقم والبلا الا من شا الله تعالى وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال
احد فيه النجاه الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد
وقال ما مر على وجه الارض احد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم من
المعصية وان شكر الله فكيف من الطعام وسيل حكيم باي قيد اقيد النفس
قال بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها
بوضعها تحت ارجل ابنا الاخرة واكسرها بترك زي القرا عن ظاهرها
وانج من افاتها بدوام سو الظن عليها واصحبها بخلاف هواها وكان

عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله تعالى ما صافا احدا الا
بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا
بالجوع ولا والاهم الله الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل
البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته
لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلى فكذلك الجوف اذا خلا
كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال بكر بن عبد الله
ثلث يحبهم الله رجل قليل الاكل قليل النوم قليل الراحة وروى ان
عيسى مكث يناجي ربه ستين صباحا لم ياكل فخطر بباله الخبز فانقطع
عن المناجاة فاذا رغيف موضوع فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ
اظله قال له عيسى يا ولي الله ادع الله لي فاني كنت في مناجاة فخطر
ببالي الخبز فانقطعت عني قال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالي
منذ عرفتك لا تغفر لي وروى ان موسى عليه السلام لما قربه الله تعالى
منه كان قد ترك له اكل اربعين يوما **بيان فوايد الجوع** وافات
الشبع لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه
وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي
ان يعظم الفضل في كل ما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه وقطعه
لحمه وتناوله الاشياء الكريهة وما يجري مجراه فاعلم ان هذا يضاهي

قول من شرب دواء فانتفع به فظن ان منفعته بمرارة الدواء
وكراهته فاخذ يتناول كل ما هو مكروه مر المذاق وهو غلط
بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك
الخاصية الاطبا فكذلك لا نقف على علة نفع الجوع الا سماسرة
العلما ومن جوع نفسه مصدقا بما جا في الشرع من مدح الجوع انتفع
وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدوا انتفع وان لم يعلم
وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة
الايمان الى درجة العلم ويرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات ونقول في الجوع عشر فوايد **الفايدة الاولى**
صفا القلب وانقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث
البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى
يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار
وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر في الاكل بطل حفظه
وفسد ذهنه وصار بطي الفهم قال ابو سليمان عليك بالجوع فانه
مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوي وقال عليه السلام
احيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفوا وترق ويقال
مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال

ابن عباس قال عليه السلام من شبع ونام قسى قلبه ثم قال ان لكل
شئ زكاة وان زكاة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله يوما
الا رايت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان
غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار
بحقايق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من
ابواب الجنة فبالحرى ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة
ولهذا قال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة
وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة قال ابو يزيد الجوع
سحاب فاذا جاع العبد مطر القلب الحكمة وقال عليه السلام نور
الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة الى الله حب المساكين
والدنو منهم لا تشبعوا فيطفى نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي
في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح الفايدة الثانية
رقة القلب وصفاوه الذي به يتهيا لادراك لذة المناجاة والتاثر
بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب لكن القلب لا يلتذ
به ولا يتاثر منه حتى كان بينه وبينه حجاب من قساوة القلب وقد يرق
في بعض الاحوال فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة
هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمن احلى ما تكون العبادة الي اذا التصق

ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين الله مخلاة من الطعام
ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمن القلب اذا جاع
وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وثار فاذا تاثر القلب بلذة المناجاة
امر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة به فهي فايدة ثانية الفايدة
الثالثة الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي
هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل
بشئ كما تذل بالجوع فعنده تستكين لربها وتخشع له وتقف على
عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها
واظلمت عليها الدنيا بشربة ماء تاخرت عنها وما لم يشاهد ذل نفسه
وعجزها لا يرى عزة مولاها وقهره وانما سعادته في ان يكون
دايما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة
والقهر فليكن دايما جايعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار
بالذوق ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزاينها
فقال لا اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا
شبعت شكرت او كما قال والبطن والفرج باب من ابواب النار
واصله الشبع والانكسار والذل باب من ابواب الجنة واصله الجوع
ومن اغلق بابا من ابواب النار فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما

متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخر

الفايدة الرابعة ان لا ينسى بلا الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء
فان الشبعان ينسى الجايعين وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد
بلا الا ويتذكر بلا الاخره فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات
القيمة ومن جوعه جوع اهل النار حتى يجوعون فيطعمون الزقوم
والضريع ويسقون الغساق والمهل ولا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب
الاخره والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن له في ذله ولا
قله ولا عله ولا بلا نسي عذاب الاخره ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب
على قلبه فينبغي ان يكون العبد في بلا او مشاهد بلا واول ما يقاسيه
من البلا بلا الجوع فان فيه فوايد خمسة سوى تذكر عذاب الاخره
وهذا احد الاسباب الذي اقتضى اختصاص البلا بالانبيا والاوليا
والامثل فالامثل ولذلك ليوسف لم تجوع وفي يده خزاين الارض قال
اخاف ان اشبع فانسى الجايع فذكر الجايعين والمحتاجين احد فوايد
الجوع فان ذلك يدعوه الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله
تعالى والشبعان في غفلة عن الم الجايع **الفايدة الخامسة** وهي
من كباير الفوايد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلا على النفس الامارة
بالسو فان منشا المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات

لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة
كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه وكما
انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت
وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك
لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر
فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولان احمله على الشدايد احب الي من يحملني
على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او هممت
بمعصية وقالت عايشة اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم
الى هذه الدنيا وهذه ليست فايدة واحدة بل هي خزاين الفوايد
ولذلك قيل الجوع خزانة من خزاين الله تعالى واقل ما يندفع افات
اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع
عن كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فتشغله لا محالة باعراض الناس
ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم واما شهوة الفرج فلا
تخفى غايلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعه
التقوى لم يملك عينه والعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض
التقوى فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الرديه وحديث النفس باسباب

الجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الكلام ...
لا يكثر عليه فضول الكلام فيتخلص من ...

السهو فما يتشوش به مناجاته وربما عرض في اثناء الصلاة
وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضا
السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على
السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط معه شيا من الشهوات وياكل
بنصف بطنه رفع الله له مؤونة النساء **الفايدة السادسة**
دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر
نومه ولذلك كان يقول بعض الشيوخ على راس السفرة معاشر المريد
لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع
سبعون صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع
العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر
وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ثم
فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواته ومهما غلب النوم فان تهجد لم
يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك
ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتاذى به او يحتاج
الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره للتهجد
ثم يحتاج الى مؤونة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام
فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها في الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال

ابو سليمان الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات
كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة
له والجوع مقطعة له **الفايدة السابعة** تيسير المواظبة على
العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان
يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شراء الطعام او
طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء
لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها الى الذكر
والمناجاة وساير العبادات لكثر ربحه قال السري رايت مع علي
الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا قال اني
حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت
الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في
المضغ وكل نفس من العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغي ان يستوفي منه
خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته
ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد
فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه
يتيسر لمن تعود الجوع والصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة
وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة انما

نستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة
الدنيا واطمأنوا بها ويعرفون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن
الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمن الداراني الى ست افات
وقال من شبع دخل عليه ست فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ
الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم
شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان ساير المومنين يدورون
حول المسجد والشباع يدورون حول المزابل **الفايدة الثامنة**
من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل
وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات
ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد
والحجامة والدوا والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مون وتبعات لا يخلو
الانسان منها بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشبهات وفي
الجوع ما يدفع عنه كل ذلك حكي ان هرون الرشيد جمع اربعة اطبا
هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدوا الذي
لا دا فيه فقال الهندي الدوا الذي لا دا فيه عندي هو الاهليلج الاسود
وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي هو الما الحار
قال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا دا وحب الرشاد

يرق المعدة وهذا دا والما الحار يرخي المعدة وهو دا قالوا فما عندك
قال الدوا الذي لا دا فيه عندي ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه
وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر
لبعض الفلاسفة من اطبا اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم
ثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس فتعجب منه وقال ما سمعت
كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال عليه
السلام البطنة اشد الدا والحمية اصل الدوا وعود كل بدن ما
اعتاد واظن ان تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذاك وقال ابن
سالم من اكل خبز الحنطة بحتا مادبا لم يعتل الا علة الموت قيل له
وما الادب قال ياكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع وقال بعض
افاضل الاطبا في ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل الانسان معدته
الرمان واضر ما ادخل معدته المالح ولان يقلل من المالح خير له من
ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم
والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم
الطغيان والبطر وغيرهما **الفايدة التاسعة** خفة المونة فان
من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع
صار بطنه غريما ملازما له ياخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا اكل اليوم

فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصى او من الحلال
فيذل ويتعب وربما احتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية
الذل والقماه والمومن خفيف المونه قال بعض الحكما انى لاقضى عامة
حوايجى بالترك فيكون اروح لنفسى وقال اخر اذا اردت ان استقرض
من غيرى لشهوة او زيادة استقرضت من نفسى فتركت الشهوة فهى خير
غريم لى وكان ابرهيم بن ادهم يسال اصحابه عن الشى الماكول فيقال
انه غال فيقول ارخصوه بالترك وقال سهل الاكول مذموم فى
ثلث احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا لا يسلم
من الافات وان كان ممن يدخل عليه شى فلا ينصف الله من نفسه وبالجملة
سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب
شهوة الفرج شهوة البطن وفى تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها
وهى ابواب النار وفى حسمها فتح ابواب الجنة كما قال عليه السلام اديموا
قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف فى كل يوم قنع فى ساير الشهوات
ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله
تعالى وتجارة الاخرة فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله فانه انما لا يلهيهم لاستغنايهم عنها بالقناعة فاما المحتاج
فتلهيه لا محالة **الفايدة العاشرة** ان يتمكن به من الايثار والتصدق بما فضل

من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيمة فى ظل صدقته
كما ورد الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فضل الله
تعالى وليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى
فالتصدق بفضلات الطعام من التخمة والشبع اولى كان الحسن اذا قرا
قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين
ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال
عرضها على السموات السبع الطباق الطرايق اللاتى زينت بالنجوم وحملة
العرش العظيم فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قيل
ان احسنت جزيت وان اسات عوقبت قالت لا ثم عرضها على الجبال
الصم الشوامخ البواذخ الصعاب الصلاب فقيل لها هل تحملين الامانة
بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزا والعقوبة قالت لا ثم عرضها على
الانسان فحملها انه كان ظلوما جهولا بامر ربه فقد رايناهم والله
اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا الافا فما ذا صنعوا فيها وسعوا بها
دورهم وضيقوا بها قبورهم واسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا
انفسهم بالغدو والرواح الى باب هذا السلطان يتعرضون للبلا وهم
من الله فى عافية فيقول احدهم تبيعنى ارض كذا وكذا وازيدك كذا وكذا يتكى
احدهم على شماله وياكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى اذا

لنفسهم

بلغت به الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتني بشي يهضم
طعامي قال كلا طعامك تهضم اما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة اين
اليتيم اين المسكين الذي امرك الله به وهذه اشارة الى هذه الفايدة
وهو صرف فاضل الطعام الى الفقرا ليدخر به الاجر فذلك خير من
ان ياكله حتى تتضاعف عليه الوزر ونظر رسول الله الى رجل سمين
البطن فاوما الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا كان
خيرا لك اي لو قدمته لاخرتك واثرت به غيرك وعن الحسن قال
والله لقد ادركنا اقواما كان الرجل منهم ليمسي وعنده من الطعام ما
يكفيه ولو شا لاكله كله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى
اجعل بعضه لله فهذه عشر فوايد للجوع يتشعب عن كل واحد فوايد
لا ينحصر عدده ولا يتناهى فوايده فالجوع خزانة عظيمة لفوايد
الاخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الاخرة وباب الزهد
والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي
رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوايد تدرك معاني تلك
الاخبار ادراك علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع
كان لك رتبة المقلدين في الايمان **بيان طريق الرياضة** في كسر
شهوة البطن اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله عشر وظايف

الاولى ان لا ياكل الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبناء
على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع
في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلث وظايف خاصة بالاكل وهو
تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطا
والسرعة وتعيين الجنس الماكول وتناول المشتهيات وتركها
الوظيفة الاولى في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدرج
فمن تعود الاكل الكثير فانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف
وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص
منه قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين مثلا واراد
ان يرد الى واحد فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص منه
جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او جزءا من ثلثين جزءا فيرجع الى رغيف في
شهر ولا يتضرر به ولا يظهر اثره فان شا فعل ذلك بالوزن وان شا
بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم
هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي
لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال
استعبد الله الخلق بثلث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد
على اثنين منهما وهو الحياة والعقل اكل وافطر ان كان صايما وتكلف

الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال ينبغي
ان لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى ان صلاته قاعدا مع ضعف
الجوع افضل من صلاته قائما مع قوة الاكل وسئل سهل عن بدايته
وما كان يقتات به قال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم
كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيق الارز فاسويه
مختلطا بثلثمائة وستين اكرة آخذ كل ليلة اكرة افطر عليها
فقيل الساعة قال اكل بلا حد وتوقيت ويحكى عن الرهابين انهم
قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام الدرجة الثانية
ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف
وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا ثلث البطن في حق
الاكثرين كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات
لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وكان ذلك
عادة عمر اذ كان ياكل سبع لقم بتسع لقم الدرجة الثالثة
ان يرد الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهو يزيد على ثلث البطن
في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء
للذكر وفي بعض الاخبار ثلث للذكر بدل قوله للنفس والرابعة ان يزيد
على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى

ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام
يختلف بالشخص والسن والعمل الذي يشتغل به وهاهنا طريق
خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه
ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر
مع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه
ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احدها
ان لا تطلب النفس الادم بل ياكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما
طلب خبزا بعينه او طلب اداما فليس ذلك بجوع وقيل ان يبزق
ولا يقع الذباب عليه اي لا يبقى فيه دهنية ودسومة فيدل ذلك
على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه
القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه
وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف
بالاحوال والاشخاص نعم كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة
في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا صاعا ونصفا وصاع الحنطة
اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه انه
قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان
ابو ذر يقول كان طعامي في كل جمعة صاعا من شعير على عهد رسول

الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه حتى القاه فانى سمعته
يقول اقربكم منى مجلسا يوم القيمة واحبكم الى من مات على ما هو عليه
اليوم وكان يقول فى انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم نخل الشعير ولم
يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادمين واختلف عليكم الوان الطعام
وغدا احدكم فى ثوب وراح فى اخر ولم تكونوا هكذا فى عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت اهل مدا من تمر بين اثنين فى كل
يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن يقول المؤمن
مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة
من الماء والمنافق مثل السبع الضارى بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوى
بطنه لجاره ولا يوثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم
وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا
لان اكل المؤمن عند ضرورة بقدر القوام فقط **الوظيفة الثانية**
فى وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا درجات الدرجة العليا
ان يطوى ثلاثة ايام فما فوقها وفى المريدين من رد الرياضة الى الطى لا الى
المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثة واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من
العلما يكثر عددهم منهم محمد بن عمر والعرى وعبد الرحمن بن ابرهيم رحيم
وابرهيم التيمى وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصى والمسلم

ابن سعد وزهير وسليمن الخواص وسهل بن عبد الله وابرهيم بن ادهم
والخواص وقد كان ابو بكر الصديق يطوى ستة ايام وكان عبد الله
ابن الزبير يطوى سبعة ايام وكان ابو الجوزا صاحب ابن عباس يطوى
سبعا وروى ان الثورى وابرهيم بن ادهم كانا يطويان ثلثا ثلثا
كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الاخرة قال بعض العلماء
من طوى اربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اى كوشف
ببعض الاسرار الالهية وقد وقف بعض هذه الطايفة على راهب فذاكره
بحاله وطمع فى اسلامه فترك ما عليه من الغرور فكلمه بكلام كثير الى
ان قال الراهب ان المسيح كان يطوى اربعين يوما وانه معجزة لا يكون الا
لنبى صادق قال له الصوفى فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه
وتدخل فى دين الاسلام وتعلم انه حق وانت على باطل قال نعم
فقعد لا يبرح الى حيث يراه قد طوى خمسين فقال ازيدك فطوى الى
تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز
المسيح وكان ذلك سبب اسلامه فهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا
مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى
نفسه فى لذته وانساه جوعه وحاجته الدرجة الثانية ان يطوى
يومين الى ثلث وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول

الله بالجد والمجاهدة الدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في
اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك
اسراف ومداومة الشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل
المترفين وهو بعيد من السنة روى ابو سعيد الخدري انه عليه السلام
كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون في
كل يوم مرة قال عليه السلام لعايشة اياك والاسراف فان
اكلتين في يوم من السرف وكان اكلتين في يوم سرف واكلة واحدة في
يومين اقتار واكلة في يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله
تعالى ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب ان ياكل سحرا
قبل طلوع الصبح فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح ويحصل له جوع
النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة
الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته
وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول
الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تزلع
قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى
السحر وفي حديث عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يواصل الى السحر فان كان يلتفت قلب الصايم بعد المغرب الى الطعام

وكان يشغله عن حضور القلب في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه
بنصفين ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا
عند السحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه ولا يشتد بالنهار
جوعه لاجل تسحره فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني
على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل
كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق
في مواقيت الاكل وتقاربه وتباعده **الوظيفة الثالثة** في نوع الطعام
وترك الادام واعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه
شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادم اللحم والحلاوة وادناه
الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي
طريق الاخرة الامتناع عن الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات
فان كل لذيذ يشتهيه الانسان واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه
وقسوة قلبه وانسا لقلبه بلذات الدنيا يالفها ويكره الموت ولقاء
الله وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجنا واذا منع نفسه
شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا
اشتهت الانفلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه اشار يحيى بن معاذ
حيث قال معاشر الصديقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة

الطعام على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من آفات الشبع
فانها تجري في اكل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته
ولذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم
الخطر في تناولها حتى قال عليه السلام شرار امتي الذين ياكلون مخ
الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى ان من اكله مرة او
مرتين لم يعص ومن دام عليه ايضا فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى نفسه
بالنعيم وتانس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى في طلبها فيجرها
ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى
اقتحام امور تلك الامور معاصي وقال عليه السلام شرار امتي الذين
غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام
وانواع اللباس ويتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى اذكر
انك ساكن القبر فليمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف
السلف من تناول لذايذ الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك
علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روي
ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما
للاخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي
لعنه الله وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا

تنبيه على ان تيسر اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا
امتنع عمر رضي الله عنه من شرب ماء بارد بعسل وقال اعزلوا
عني حسابها فلا عبادة لله اعظم من مخالفة الشهوات وترك
اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع
ان ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة
فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف وشويت
وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها
برغيفها فادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها
منذ كذا وكذا فلم نجدها حتى وجدتها فاشتريتها بدرهم ونصف فنحن
نعطيه ثمنها ونترك السمكة فاخذها ووضعها بين يديه فقال لا
فقال قد اعطيته درهما واخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا
تاخذ منه الدرهم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر الله له
وقال عليه السلام اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من ماء
قراح فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار به الى ان المقصود رد الم الجوع
ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه ان
يزيد بن ابي سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه

حضر عشاوه فاعلمني فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاوه فجاه بثريد
لحم فاكل معه عمر ثم قرب الشوا وبسط يزيد يده وكف عمر
يده وقال الله الله يا يزيد بن ابي سفين اطعام بعد طعام والذي
نفس عمر بيده ان خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن
عمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا له عاص وروي ان عتبة
الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح
حتى يتهيا في الدار الاخرة الشوا والطعام الطيب وكان ياخذ الكوز
فيغرف من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو اعطيتني
دقيقك فخبزته لك وبردت لك الما فيقول لها يا ام فلان قد شددت
عني كلب الجوع وروي عن مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم
ياكله واهدي اليه يوما رطبا فراوده في اكله فقال لاصحابه كلوا فما
ذقته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمن
الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف
واقبل يبكي وقال عجلت الي شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت
على التوبة فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال
مالك بن ضيغم مررت على سوق البصرة فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطعمتني
الليلة من هذا فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك

ابن دينار بالبصرة خمسين سنة ما اكل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة
قط وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما اكلت لكم
رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم
وقال مالك بن دينار طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي
لبنا منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمها حتى الحق بالله تعالى وقال
حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته
يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا فاليت الا
تاكلينه ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم
بالسوق فراى فيها من الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا
من هذه المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة
ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت
واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقتيه فبعث بها الى يتامى
من الفقرا وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ
عشرين سنة وعن احمد بن خليفة قال نفسي ما منذ عشرين سنة ما
تطلب مني الا الما حتى تروى فما ارويتها وروي ان عتبة الغلام اشتهى
لحما سبع سنين فلما ان كان بعد ذلك قال قد استحييت من نفسي ان
ادفعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشترى قطعة لحم على خبز

فسواها فلقي صبيا فقال أليس أنت ابن فلان وقد مات أبوك
فنا وله اباه واقبل يبكي ويقول ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ويتيما ولم تذقه بعد ومكث عتبة الغلام يشتهي تمرا سنين
فلما ان كان ذات ليلة اشترى بقيراط ورفعه حتى يفطر عليه
قال فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع الناس فقال عتبة الغلام
وجرائي عليك وشرائي التمر بالقيراط وقال لنفسه ما اظن اخذ
الناس الا بذنبك علي لا ذقته فترك التمر واشترى داود الطائي بنصف فلس
بقلا وبفلس خلا قال فاقبل ليلته يقول ويلك يا داود ما اطول
حسابك يوم القيامة ولم يكن ياكل الا قفارا وقال عتبة الغلام
لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها قال
لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال ان
انا تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال
له بعض اصحابه ابكى الله عينك اعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد
دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك هو اذا ترك شيئا
لم يعاوده ابدا وقال جعفر بن نصير امرني الجنيد ان اشتري له
التين الوزيري فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها في فيه ثم
القاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف بي في قلبي اما

تستحي تركتها من اجلي ثم تعود اليها وقال صالح المري قلت
لعطاء السلمي اني متكلف لك شيئا فلا ترد علي كرامتي قال
افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدي بشربة من سويق قد
لتته بسمن وعسل وقلت له لا تبرح حتى يشربها فشربها فلما
كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فاتيته ولمته وقلت
سبحان الله رددت علي كرامتي فلما راى وجدي لذلك قال لا
يسوءك هذا اني قد شربتها اول مرة وقد راودت نفسي في المرة
الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت
قول الله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان
وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت وقلت
في نفسي انا في واد وانت في واد آخر وقال السري ان نفسي تطالبني
منذ ثلثين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر
الجلاء اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة
ايام ولكن اترك هذه الشهوة وروي ان عابدا دعى بعض اخوانه فقرب
اليه رغفانا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار اجودها
فقال له العابد مه اي شيء تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت
عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانع حتى استدار من السحاب

الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والبهايم وبنو آدم
حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه لا ترضى وفي الخبر لا
يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمئة وستون
صانعا اولهم ميكاييل الذي يكيل الماء من خزاين الرحمة ثم الملئكة
التي تزجي السحاب والشمس والقمر والافلاك وملكوت السماء والهواء
ودواب الارض وآخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وقال بعضهم اتيت قاسم الجوعي فسألته عن الزهد اي شي هو فقال
اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد
وبقدر ما يملكه بطنه يملكه الدنيا وكان بشر بن الحرث قد اعتل
فسأل عبد الرحمن بن الطبيب عن شي يوافقه من الماكول فقال
تسألني فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال بشر فصف لي حتى اسمع
قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيدباجا
قال له بشر تعلم شيا اقل من السكنجبين ثمنا يقوم مقامه قال لا قال
فانا اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال تعرف شيا اقل ثمنا
من السفرجل قال لا قال انا اعرف هو الخرنوب الشامي قال تعرف
اقل ثمنا من الاسفيدباج ويقوم مقامه قال لا قال انا اعرف
ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال عبد الرحمن فانت اعلم مني

بالطب فلم تسألني فقد عرفت ان هولاء كيف امتنعوا من اكل
الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوايد
التي ذكرناها وفي بعض الاوقات لانه كان لا يصفو لهم
حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات
ليست من الضرورات حتى قال ابو سليمن الملح شهوة لانه
لزيادة على الخبز وما زاد على الخبز شهوة وهذه هي النهاية
فمن لم يقدر على ذلك فينبغي له لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك
في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل ما يشتهيه ويفعل كل ما
يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي من ترك
اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا
قلبه وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما
كان جايعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع
فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل
لينشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين
فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل او ليجلس فيذكر
الله تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم
بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم واقل ذلك

ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزءا من القران
عقيب كل اكله وكان سفين الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا
شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي
وكده ومرة يقول اشبع الحمار وكده ومهما اشتهى شيا من طيبات
الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكله بدلا عن الخبز ليكون قوتا
ولا يكون تفكها ليلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ونظر سهل
الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابتدي بالتمر فان قامت
كفايتك به والا اخذت من الخبز بعده حاجتك ومهما وجد
طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ
بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطفه وكان بعضهم يقول
لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتم فلا تطلبوها فان طلبتموها
فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال ابن عمر ما ياتينا من العراق
فاكهة احب الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا
سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال وبقدر
ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا وبقدر ما جاهد نفسه وترك شهوته يتمتع في الاخرة
بشهواته قال بعض اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمك

فمنعتها فقويت مطالبتها فاشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة
فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك
فقال لا احسن اصف لك ما لقاني به ربي عز وجل من النعم والكرامة
وكان اول شي استقبلني به خبز ارز وسمك فقال كل شهوتك اليوم
هنيا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم
في الايام الخالية وكانوا اسلفوا ترك الشهوات ولهذا قال ابو
سليمن ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة
وقيامها **بيان اختلاف حكم الاكل وفضيلته** باختلاف
احوال الناس اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق
الوسط اذ خير الامور اوسطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه
في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات
ولكن من اسرار حكمة الله تعالى في الشريعة ان كل ما يطلب الطبع
فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جا الشرع بالمبالغة في المنع
منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه
الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع
اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون
الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاوما ويحصل الاعتدال فان من

يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فنعلم انه لا منتهى الى الغاية
فان اسرف مسرف فى مضادة الطبع كان فى الشرع ايضا ما يدل
على اساءته كما ان الشرع بالغ فى الثنا على قيام الليل وصيام النهار
ثم لما علم النبى صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر
كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل
بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا
يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه ولا يوثر فيه ابتلا فان مقصود الاكل
بقا الحياة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع
ايضا يشغل القلب ويمنع منه فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل
فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام
وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتدا بهم واذا لم يكن للانسان
خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو
الاعتدال ومثال طلب الادمى البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع
الى الوسط مثال نملة القيت فى وسط حلقة محمية على النار مطروحة
على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهى محيطة بها لا تقدر على
الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذى هو الوسط ولو ماتت
ماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التى فى الحلقة

المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة
والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للانسان فى الخروج وهو
يريد ان يتشبه بالملائكة فى الخلاص واشبه احواله به البعد
وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا فى
جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه عبر عليه السلام بقوله
خير الامور اوسطها واليه اشار بقوله تعالى كلوا واشربوا
ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة
والفكر وخف فى نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد
اعتدال الطبع اما فى بداية الامر اذا كانت النفس جموحا
متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعه
بل لا بد من المبالغة فى ايلامها بالجوع كما يبالغ فى ايلام الدابة التى
ليست مروضا بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا
ارتاضت واستوت رجع الى الاعتدال وترك تعذيبها وايلامها
وعن هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه فى نفسه فيامره
بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع
منها لانه قد فرغ عن تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان
اغلب احوال النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الاصلح

له الجوع الذي يحس بالمه في اكثر الاحوال لينكسر والمقصود ان ينكسر
حتى يعتدل فيرد بعد ذلك في الغذا ايضا الى الاعتدال فانما يمتنع
عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الاخرة اما صديق واما مغرور احمق
اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنايه
عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه
انه الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا
غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا
وكثيرا ما يغتر فينظر الى الصديق ومسامحته لنفسه في ذلك فيسامح
نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن
بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار
يسير ووقت مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس
ناية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال اذ رسول الله عليه وسلم لم
يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عايشة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان
يدخل اهله فيقول هل عندكم من شي فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا
قال اني اذا اصوم وكان يقدم اليه الشي فيقول اما اني كنت اردت الصوم
ثم ياكل وخرج عليه السلام يوما وقال اني صايم فقالت عايشة

قد اهدي حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك
حكي ان سهلا قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من
الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه اكل
دقاق التبن ثلث سنين ثم ذكر انه اقتات ثلثة دراهم في ثلاث
سنين فقيل له فكيف انت في وقتك قال اكل بلا حد ولا توقيت
وليس المراد بقوله اي اكل كثيرا اي لا اقدر بمقدار واحد ما اكله
وكان معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام فياكل فيقال له ان
اخاك بشرا لا ياكل من هذا فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني
المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا
جوعني صبرت مالي والاعتراض والتمييز ودفع ابرهيم بن ادهم الى بعض
اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبز حوارى فقال
يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال
واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما ودعا نفرا
يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال الثوري اما تخاف ان يكون هذا
اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث
فالذي ياخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابرهيم بن ادهم
ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح بيتي منذ عشرين سنة

وعن سري السقطي اني منذ اربعين سنة اشتهي ان اغمس جوزة في
دبس فلم افعل فتراه مناقضا او يتحير او يقطع بان احدهما مخطي
والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى
اختلاف الاحوال ثم الاحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط وغبي
مغرور فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليس
نفسي اطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهولاء من الممتنعين
من الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول ما نفسي باعصى علي من نفس
معروف الكرخي وابرهيم بن ادهم فاقتدي بهم وادفع التقدير عن ما كولي
فانا ايضا ضيف في دار مولاي فما لي والاعتراض ثم انه لو قصر احد
في حقه وفي توقيره او في ماله وجاهه بطريقة اقام القيمة عليه
واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل دفع
التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر
من مشكوة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله
وانقباضه ولا يقدر على ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة
الهوى والعادة بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون
امساكه بنيته فيكون عاملا لله في افطاره وينبغي ان يتعلم الحزم من عمر
فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله

اكلده

ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء مبرد بالعسل جعل
يديرا الانا في كفه ويقول اشربها فتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها
اعزلوا عني حسابها فتركها وهذه اسرار لا ينبغي ان يكشفها الشيخ
على مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال
ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني عن الرياضة فان الشيطان
يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي
فاتك من المعرفة والبيان والكمال بل كان من عادة ابرهيم الخواص ان يخوض
مع المريد في كل رياضة كان يامره بها كيلا يخطر بباله ان الشيخ لم يامره
بما لا يفعله وينفر ذلك في رياضته والقوي اذا شغل بالرياضة واصلاح
الغير لزمه النزول الى حد الضعفا تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم الى
السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبيا والاوليا واذا كان حد الاعتدال
خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل
حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده
يأكل لحما مادوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا
ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما
خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة
على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام

بين ذلك **بيان آفة الرياء** المتطرق الى من ترك اكل الشهوات
او تقلل الاكل اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان
هما اعظم من اكل الشهوات احديهما ان لا تقدر النفس على ترك بعض
الشهوات فتشتهيها ولكن لا تريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة
ويأكل في الخلوة ما لا يأكله في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل
بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل تعلم به باسا فقال
يأكل في الخلوة ما لا يأكل في الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد
اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهرها فان هذا صدق الحال وهو
بدل عن فوات المجاهدة بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من
الكمال هو نقصان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون
مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين
فقيل ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر
واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر
الله الى قلبه وعظم عين المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره فالعارفون يبتلون
بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان
يترك الشهوات لله عز وجل ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن
قلب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها من

الزاهدين ولكن ينبغي به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين
حتى لا يشوشون عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار
ضده فهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين
كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة
بشربه ومرة بقذفه فلا جرم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا
يضاهي طريق من ياخذ ما يعطى جهرا ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا
وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه
والصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت
اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح غيره
لكان اصلاح نفسه اهم من غيره فهو انما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان
في معرض اصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان
من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل او لا ينزجر باعتقاده انه تارك
للشهوات الآفة الثانية ان يقدر على ترك الشهوات ولكن يفرح ان يعرف
به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة
الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهو شهوة الجاه وذلك هو الشهوة
الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة
الطعام فليأكل هو اولى له قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت

تمادت کالها فاصب منها شيا يسيرا ولا تعط نفسك مهناها فيكون
قد اسقطت عن نفسك الشهوة ويكون قد نقصت على نفسك اذا لم
تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الى شهوة نظرت
الى نفسي فان اظهرت شهوتها لها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها
وان اخفت شهوتها واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها
شيا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة
من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الريا كان كمن هرب من عقرب
وفزع الى حية لان الشهوة بالريا اضر كثيرا من شهوة الطعام **القول في
شهوة الفرج** اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفايدتين
احدهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو
دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم الام الجسد
والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس
ولذة تدرك وان ما لم يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق الفايدة الثانية
بقا النسل ودوام الوجود فهذه فايدتها ولكن فيها من الافة ما يهلك
الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في
قوله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في
قوله ومن شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر وقد اسند بعض الرواة

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال في تفسيره
الذكر اذا دخل وقيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان عليه
السلام يقول اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال
عليه السلام النسا حبايل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان
للنسا سلطنة على الرجال روي ان موسى عليه السلام كان جالسا
في بعض مجالسه اذ اقبل ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه
خلع البرنس ووضعه ثم اتاه فقال السلام عليك قال موسى من انت
قال انا ابليس قال فلا حياك الله ما جابك قال جيت لاسلم عليك
لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال به
اختطف قلوب بني ادم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه
قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلاثا
لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه
دون اصحابي حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرج
صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبها
دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفا بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه
علم موسى ما يحذر به بني ادم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا
فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنسا ولا شي عندي اخوف منهن

وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابني اغتسل فيه يوم الجمعة
ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان قال للمرأة انت نصف جندي
وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت رسولي
في حاجتي فنصفه حدة الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوة
شهوة النسا وهذه الشهوة ايضا لها افراط وتفريط واعتدال
فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنساء
والجواري فيحرم عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام
الفواحش وقد ينتهي افراطها بطايفة الى امرين شنيعين احدهما ان
يتناولوا ما يقوي شهوتهم لاستكثار الوقاع كما قد يتناول بعض الناس
ادوية تقوي المعدة لتعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن بلي
بسباع ضارية وبهايم عادية فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال
لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام
والوقاع على التحقيق الام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك بذلك
لذة بسبب الخلاص الامر الثاني انه قد ينتهي هذه الشهوة ببعض الضلال
الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمة
لحد البهايم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهو اقبح الشهوات
واجدرها بان يستحيي منه حتى اعتقد ان الشهوة لا تقضى من محل واحد

والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فيكتفي به وهذا لا يكتفي الا
بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية
وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا يكون
خادما للشهوة محتالا لاجله وما العشق الا منبعه افراط الشهوة
وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز منه في اوايله بترك
معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق
الجاه والمال والعقار والاولاد وحتى حب اللعب بالطيور والنرد
والشطرنج فان هذه الامور قد يستولي على طايفة بحيث ينغص عليهم
الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر العشق في اول
انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب ليدخله وما
اهون منعها بصرف عنانها ومثال علاجها بعد استحكامها ان يترك
الدابة حتى يدخل ويجاوز الباب ثم تاخذ بذنبها وتجرها الى ورا وما
اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات
الامور فاما اواخرها فلا يقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي
نزع الروح فاذا افراط الشهوة ان يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم
جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم
وانما المحمود ان يكون معتدلة او مطيعة للعقل والشرع في انبساطها

وانبساطها ومهما افرطت فيكسرها بالجوع وبالنكاح قال عليه السلام
معاشر الشباب عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم
له وجا بيان ما على المريد في ترك التزوج وفعله اعلم ان على
المريد في ابتدا امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزوج فان ذلك
شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس
بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى فلا يقاس الملئكة
بالحدادين ولذلك قال ابو سليمن الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا
وقال ما رايت مريدا تزوج فثبت على ما كان وقيل له ما احوجك الى
امراة تستانس بها فقال يا انسني الله بها اي ان الانس بها يمنع الانس
بالله وقال ايضا ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو مشوم عليك
فشرط المريد العزوبة في الابتدا الى ان يقوى في المعرفه وهذا اذا لم يغلبه
الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدايم
فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان
قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى ليكسر الشهوة والا فهما لم يحفظ
عينه لم يحفظ ذكره وتفرق همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من
كبار الصغاير وهي تؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج

ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام
اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال
سعيد بن جبير انما جات فتنة داود من اجل النظرة وقال داود
لابنه يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المراة وقيل
ليحيى بن زكريا ما بدو الزنى قال النظر والتمني وقال الفضيل
يقول ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطي به يعني النظرة
وقال عليه السلام النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا
من الله تعالى اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال عليه السلام
ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النسا وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة
النسا فان اول فتنة بني اسرايل كانت في النسا وقال تعالى قل للمومنين
يغضوا من ابصارهم الاية وقال عليه السلام كتب لكل ابن ادم حظه
من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما
البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب
يهم او يتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه وقالت ام سلمة استاذن ابن
ام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا
منه فقلنا اليس باعمى فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا
يجوز للنسا مجالسة الاعمى كما جرت العادات به في الماتم والولايم فيحرم

العميان

على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر
اليه بغير حاجة وانما يجوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل
عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن
الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى
امراة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة
حرام بل كل من تاثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه
وبين القبيح لم يحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل
والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فلست اعني تفرقة العين فقط
بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء ويابسة
وماء صاف وماء كدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت
اوراقها فانه يميل الى احدهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة
ولذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي
وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين
الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب
والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه وبين
النبات الحسن والابواب المنقشة والسقوف المزخرفة فنظره نظر شهوة فهو
حرام فهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون

قال بعض التابعين ما انا اخوف على الشاب الناسك وهو غلام امرد
يجلس اليه وقال سفيان لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجله
يريد الشهوة لكان لواطا وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة
ثلثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون
فآفة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط
فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها
بالجوع قال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدو ارادتي بما لم اطق فاكثرت
الضجيج الى الله فرايت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال
تقدم الي فتقدمت فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي
وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي وبقيت معافا سنة ثم عاودني
ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال اتحب ان يذهب ما تجد
واضرب عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور
وضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافا سنة ثم عاودني
ذلك واشد منه فرايت شخصا يخاطبني الى جنبي ويقول ويحك كم
تسال الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك
عني وولد لي ومهما احتاج المريد الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة
في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن

الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع
ذلك في آداب النكاح فلا نطول باعادته وامارة صدق ارادته
ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية
كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت
الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها
والغنية بخلاف ذلك قال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون الرجل
باربع والا استحقرته بالنفس والطول والمال والحسب وان تكون
فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع وعلامة صدق الارادة
في دوام النكاح الخلق تزوج بعض المريدين امراة فلم يزل يخدمها
حتى استحيت المراة وشكت الى الاب وقالت قد تحيرت في هذا الرجل
انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلي اليه
وتزوج بعضهم امراة ذات جمال فلما قرب الزفاف اصاب المراة
الجدري فاشتد حزنهم لذلك خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل
انه رمد ثم اظهر ان بصره ذهب حتى زفت المراة اليه وزال عن اهل
بيتها ذلك الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه
فقيل له في ذلك فقال تعمدت لاجل اهل بيتها حتى لا يحزنوا فقيل له
قد سبقت اصحابك بهذا الخلق وتزوج بعض الصوفية امراة سيئة

الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لا تطلقها قال اخشى ان يتزوجها
من لا يصبر على خلقها فيتاذى فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون
وان قدر على الترك فهو له اولى اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح
وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن
سليمن الهاشمي ملك غلة ثمانين الف درهم في كل يوم ثم كتب الى اهل
البصرة وعلمائهم في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة رحمها
الله فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله عز
وجل قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وليس تمضي الايام
والليالي حتى اتمها مائة الف وانا اصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني
فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد في الدنيا
راحة البدن والرغبة فيها تورث الغم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا
فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال
اوصياك فيقتسموا تراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت واما
انا فلو ان الله عز وجل خولني امثال ما خولك واضعافه ما سرني
ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذا اشارة الى ان كل ما شغل عن الله تعالى
فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو
الاقرب وان عجز فالنكاح اولى به فدواء هذه الشهوة ثلث الجوع وغض

البصر والاشتغال يشغل يشتت في القلب فان لم ينفع هذه الثلاث
فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط فلهذا كان السلف يبادرون
الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان
من نبي الا اتاه من قبل النسا وقال سعيد وهو ابن اربع وثمنين
سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شي اخوف عندي
من النسا وعن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني
اياما فلما جيته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال
الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت
امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلاثة
فقال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد الله وصلى على النبي وزوجني على
درهمين او ثلاثة قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى
منزلي وجعلت اتفكر ممن اخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت
الى منزلي واسترحت وكنت وحدي صايما فقدمت عشاي افطر وكان
خبزا وزيتا فاذا بابي يقرع الباب فقلت من هذا فقال سعيد قال
فافكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير
اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت فخرجت فاذا سعيد بن المسيب
فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فاتيك

قال لا انت احق ان تؤتى قلت فما تامر قال انك كنت رجلا
عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك
فاذا هي قايمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد
الباب فسقطت المراة من الحيا فاستوثقت من الباب ثم تقدمت
الى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكي لا
تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاوني فقالوا ما شانك
قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جا بها الليلة
على غفلة فقالوا سعيد بن المسيب زوجك قلت نعم قالوا وهي
في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ امي فجاءت وقالت وجهي
من وجهك ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلثة ايام قال فاقمت
ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي اجمل الناس واذا هي احفظ الناس لكتاب
الله تعالى واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرفهم
بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا اتيه فلما كان قرب
الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام
ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان قلت خير
يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك شي فالعصا فانصرفت
الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمن وكانت بنت سعيد

ابن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك
حين ولاه العهد وأبى أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد
حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه
جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة تعرفك
غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين إلى تطفئة نارها بالنكاح

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين اعلم أن هذه الشهوة
أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها عند الهيجان على العقل
إلا أن مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر
الناس عن مقتضاها إما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على حشمة
وليس في شيء من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة أن لا تقدر ففي
هذه العوائق فائدة وهو دفع المأثم فإن من ترك الزنا اندفع عنه إثمه
بأي سبب كان تركه وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى
مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لا سيما عند صدق الشهوة
وهذه درجة الصديقين ولذلك قال عليه السلام من عشق فعف فكتم
فمات فهو شهيد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم
الله يوم لا ظل إلا ظله وعد منهم رجلا دعته امرأة ذات حسب وجمال
إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه

ذلك ثواب فإنه
ايثار حظ من

عن زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثنى الله عليه
بذلك في كتابه وهو إمام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في
هذه الشهوة العظيمة روي أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس
وجها فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج
هاربا عن منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت في المنام يوسف
عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف فقال نعم أنا يوسف الذي
هممت وأنت سليمان الذي لم تهم إشارة إلى قوله تعالى ولقد همت به
وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وعن سليمان أيضا ما هو أعجب
منه وهو أنه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى نزلوا
بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق يبتاع شيئا
وقعد سليمان في الخيمة وكان من أجمل الناس وجها وأورع الناس
فبصرت به أعرابية من قلة الجبل فلما رأت جماله وحسنه انحدرت
وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت بين يديه فسفرت
عن وجه لها كأنها فلقة قمر فقالت أهنئني فظن أنها تريد طعاما
فقام إلى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا إنما أريد ما يكون
من الرجل إلى أهله فقال جهزك إلي إبليس ثم وضع رأسه بين كميه
وأخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رأت ذلك سدلت البرقع على وجهها

ودفعت رجليها حتى رجعت الى خيمتها فجاء رفيقه ورآه قد
انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه قال ما يبكيك قال
خير ذكرت صبيتي قال لا الا ان لك قصة انما اعهد بصبيتك
منذ ليلة او نحوها فلم يزل به رفيقه حتى اخبره بشان الاعرابية
فوضع السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمن وانت
ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك
لم صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمن الى مكة وطاف وسعى
واتى الحجر واحتبى بثوبه فنعس فاذا رجل وسيم جميل طوال له
شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمن من انت رحمك الله قال
انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شانك وشان
امراة العزيز لشانا عجيبا فقال له يوسف شانك وشان صاحبة
الابواء اعجب وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم
المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل وسدت عليهم
الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح
اعمالكم قال رجل منهم اللهم كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق
قبلهما اهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما

فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق حين ناما
قبلهما اهلا ومالا ولبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما
حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا
غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا
ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج
وقال الاخر اللهم كانت لي ابنة عم كانت احب الناس الي فاردتها عن
نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها
مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا
قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت
من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب
الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن
فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال
الثالث اللهم استاجرت اجراء واعطيتهم اجرهم غير رجل واحد
ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني
بعد حين وقال يا عبد الله هات اجري فقلت كل ما ترى من
اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ
بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا

اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه
فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون وهذا افضل من تمكن من قضاء
هذه الشهوة فعف وتقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين
فان النظر سبب الزنا فحفظه مهم وقد عسر من حيث انه يستهان
به ولا يعظم الخوف فيه والا فات كلها تنشأ منه والنظرة الاولى
اذا لم يقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤخذ بها قال عليه السلام
لك الاولى وعليك الثانية النظرة وقال العلا بن زياد لا
تتبع بصرك رداء المرأة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقلما
يخلو الانسان في ترددا ته عن وقوع البصر على النساء والصبيان
ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعند ذلك
ينبغي ان يقرر عند نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه
ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول ولا
يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ وتألم لانه قصد
التلذذ فقد فعل ما آلمه فلا يخلو في كلا حالتيه عن معصية
وعن تألم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه
كثير من الآفات وان اخطأ عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك
يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق روي عن بكر بن عبد الله المزني

ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها الى حاجة
الى قرية اخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا
اشد حبا لك منك ولكني اخاف الله قال وانت تخافينه وانا
لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه
فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فسأله فقال ما لك
قال العطش قال تعال حتى ندعو حتى تظلنا سحابة حتى ندخل
القرية قال ما لي من عمل فادعو قال فانا ادعو وامن انت فدعا
الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ
القصاب الى مكانه ومالت السحابة فمالت معه فقال له زعمت
ان ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة
ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب بمكان
من الله ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه
قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع لا يكاد
يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت
اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما
كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى
اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت

له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع
مني كلمات اكلمك بها قال فاطرق مليا وقال لها هذا موقف
تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت والله ما وقفت موقفي
هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله ان يشرف العباد الى مثل
هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي
ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثال
القوارير ادنى شي يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي مشغولة
بك والله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب الى منزله واراد
ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من
منزله فاذا بالمراة واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب
ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم
اعلمي ايتها المراة ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد
في المعصية ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه
غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب
فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك
يوم تكون السما كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الامم
لصولة الجبار العظيم فاني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف

باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب
هدى يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله
رب العالمين فاقصديه على صدق المسالة فاني متشاغل عنك
بقوله تعالى وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر
كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور فاين المهرب من هذه الاية ثم جاءت بعد ايام
فوقفت له على طريقه فلما راها من بعيد اراد الرجوع من منزله
لئلا يراها فقالت يا فتى فلا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا
الا بين يدي الله تعالى وبكت بكا كثيرا وقالت اسال الله الذي بيده
مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته وقالت امنن
علي بموعظة احملها واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى
اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله عز وجل وهو
الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت
بكا شديدا اشد من بكائها الاول ثم افاقت ولزمت بيتها واخذت
في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا وكان الفتى يذكرها بعد
موتها ثم يبكي عليها فقيل له مم بكاؤك وقد ايستها فيقول اني ذبحت
طمعها مني في اول امرها وجعلت قطعها ذخيرة لي عند الله عز وجل

وانا استحيي من الله ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده، وهذا
اخر كتاب كسر الشهوتين ويتلوه كتاب
افات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع
المهلكات من كتب احيا علوم الدين وهو

كتاب افات اللسان

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي احسن خلق الانسان
وعدله والهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان
فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزاين العلوم فاكمله
ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم
عما حواه القلب ويعقله ويكشف عنه ستره الذي ارسله فاطلق
بالحمد مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق
سهله ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب
انزله واي فصله ودين سهله صلى الله عليه وعلى اله واصحابه ومن
قبله ما كبر عبد وهلله، اما بعد فان اللسان من نعم الله العظيمة
ولطايف صنعه الغريبة وانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه
اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة

والطغيان ثم انه ما من موجود ومعدوم خالق او مخلوق
متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله
ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه
اللسان اما بحق او باطل فلا شي الا والعلم متناول له وهذه
خاصية لا توجد في ساير الاعضا فان العين لا تصل الى غير الالوان
والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير
الاجسام وكذا ساير الاعضا واللسان رحب الميدان ليس له
مرد ولا لمجاله منتهى وحد فله في الخير مجال رحب وله في الشر
مجرى سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به
الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره
الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم
ولا ينجي من شر اللسان الا ان يقيد بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما
ينفع في الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما يخشى غايلته في عاجله او
اجله وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل
بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضا على الانسان اللسان
فانه لا تعب في تحريكه ولا مونة في اطلاقه وقد تساهل الخلق
في الاحتراز عن افاته وغوايله والحذر من مصايده وحبايله وانه

اعظم آلة للشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن
تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكر واحدة واحدة منها بحدودها
واسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار
والآثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام
فيما لا يعنيك ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة
المرا والمجادلة ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق
وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة
المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان
ثم آفة اللعن اما لحيوان او لجماد او لانسان ثم آفة الغناء بالشعر
ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة
الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم آفة الغيبة ثم
آفة النميمة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين ويكلم
كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق
الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط
بامور الدين ثم آفة السؤال اعني سؤال العوام عن صفات الله وعن
كلامه وعن الحروف انها قديمة او حادثة وهي تمام الآفات وهي
العشرون منها **بيان عظم خطر اللسان** وفضيلة الصمت اعلم

ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك
مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال عليه السلام من صمت نجا.
وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وروى
عبد الله بن سفين عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام
بامر لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت
فما اتقي فاومأ بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر يا رسول الله ما
النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك
وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يتوكل لي ما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة وقال عليه السلام
من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي الشر كله القبقب
البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلث
بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا
من ذكر آفات الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن
الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار قال الاجوفان الفم
والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفة اللسان لانه محله ويحتمل
ان يكون المراد البطن لانه منفذه وقال معاذ يا رسول الله انؤاخذ بما

تقول فقال ثكلتك امك يا بن جبل وهل يكب الناس في النار على
مناخرهم الا حصايد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت حدثني بامر
اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت ما اخوف ما تخاف
علي فاخذ بلسانه وقال هذا وروي ان معاذا قال يا رسول الله اي
الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع
عليه اصبعيه وقال انس بن ملك قال رسول الله صلى الله عليه
لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم
لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يا من جاره بوايقه وقال عليه السلام
من سره ان يسلم فليلزم الصمت • عن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول
الله انه قال اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضا تكفر كلها اللسان
ان يقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا
وروي ان عمر اطلع على ابي بكر وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة
رسول الله قال ان هذا اوردني الموارد ان رسول الله قال ليس شي من
الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود انه كان
على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم او انصت تسلم من قبل ان
تندم قيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شي تقوله او شي سمعته قال لا بل سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه

وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه
ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر
الى الله قبل الله عذره وروي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله
اوصني قال اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت
انبأتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه •
وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن
بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت • وقال الحسن ذكر لنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت
فسلم وقال سفين قالوا لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به
الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا
الا بخير وقال سليمن بن داود ان كان الكلام من فضة فالصمت من
ذهب • وعن البرا قال جا اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجايع واسق الظمان وأمر
بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير •
وقال عليه السلام اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان

وقال عليه السلام ان الله عند لسان كل قايل فاتقوا الله امرء
على ما يقول وقال عليه السلام اذا رايتم المومن صموتا وقورا
فادنوا منه فانه يلقى الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاجب فالغانم
الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في
الباطل وقال النبي صلى الله عليه وسلم لسان المومن وراء قلبه
فاذا اراد ان يتكلم بشي تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان
المنافق امام قلبه فاذا هم بالشي امضاه لسانه ولم يدبره بقلبه
وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت
وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه
كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كان
النار اولى به **الآثار** كان الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في
فيه يمنع بها نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا
اوردني الموارد وقال ابن مسعود والذي لا اله الا هو ما شي احوج
الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان اطلقته اكلني
وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل ان يكون عارفا
بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه

من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز
اما بعد فانه من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد
كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه وقال بعضهم الصمت يجمع
للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد
ابن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ
الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون لسانه
منه على بال الا رايت صلاح ذلك في ساير عمله وقال الحسن كانوا
يتكلمون عند معوية والاحنف ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر
قال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش
اجتمع اربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال
احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الاخر
اني اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم ملكتها
ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته
ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر
مني على رد ما قلت وقيل ان المنصور بن المعتمر لم يتكلم بعد العشاء
الاخرة اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين
سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا وقلما فكلما تكلم به كتبه ثم حاسب

نفسه عند المسا فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه
فاعلم ان سببه افات اللسان من الخطا والكذب والنميمة والغيبة
والريا والنفاق والفحش والمرا وتزكية النفس والخصومة والفضول
والخوض في الباطل والتخويف والزيادة وايذا الخلق وهتك العورات
وهذه افات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل على اللسان ولها
حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخايض
فيه قل ما يقدر على ان يزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا
يحب فان ذلك من غوامض العلم كما سياتي تفصيله وفي الخوض خطر
وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع
الهم ودوام الوقار والفراغة للفكر والعبادة والذكر والسلامة
من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الاخرة وقد قال تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على لزوم الصمت
امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم ضرر محض وقسم هو نفع
محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة
اما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه
ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر
فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وعين الخسران ولا يبقى

الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة ارباع الكلام وهذا الربع
فيه خطر اذ يمتزج به ما فيه اثم من دقايق الريا والتصنع والغيبة
وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا خفي مدركه فيكون الانسان
به مخاطرا ومن عرف دقايق اللسان على ما سنذكره علم قطعا
ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب
حيث قال من صمت نجا فلقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع
الكلم ولا يعرف ما تحت احاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلما
وفيما نذكره من الافات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة
ذلك ان شا الله تعالى ونحن الان نعد افات اللسان ونحن نبتدي
وهي عشرون افة **الافة الاولى** الكلام فيما لا يعنيك اعلم
ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك عن جميع الافات التي ذكرناها
من الغيبة والكذب والمرا والنفاق وغيرها وتتكلم بما هو مباح
لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن
عنه ولا حاجة بك اليه فانت مضيع زمانك ومحاسب على عمل
لسانك ومستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت
الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر
ما يعظم جدواه او لو هللت الله وسبحته وذكرته لكان خيرا لك

بلغ [illegible]

ها

فكم من كلمة يبني بها قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا
من الكنوز فاخذ بدله مدره لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا
مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لا يعنيه
فانه وان لم ياثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى
فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا
هكذا قاله النبي صلى الله عليه وسلم بل راس مال العبد اوقاته
ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الاخرة فقد
ضيع راس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال
انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة
من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة
يا بني فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم
فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر ان النبي صلى الله
عليه وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى
اتاه فلما دخل عليه فقال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة
يا كعب فقال من هذه المتالية على الله قال هي امي يا رسول الله قال
وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا

يعنيه ومعناه انما تتهيا الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم
فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا
تتهيا له الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذا
وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل
عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عملك
في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو سلامة
الصدر وترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن
ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن
الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس
يقول خمس هن احسن من الدهم الموقفة لا تتكلم فيما لا يعنيك
فانه فضل ولا امن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له
موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه
فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك وان السفيه يؤذيك
واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما

مما يجب ان يعفك عنه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان
مأخوذ بالاجرام وقيل للقمن الحكيم ما حكمتك قال لا اسال عما
كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي امر في طلبه منذ
عشر سنين لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت
عما لا يعنيني وقال عمر لا تعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر
صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر
لتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون
الله تعالى وحده ان تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تاثم ولم تتضرر في
حال ولا مال مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك وما رايت فيها
من جبال وانهار وما وقع لك من الوقايع وما استحسنته من الاطعمة
والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقايعهم فهذه امور لو سكت
عنها لم تاثم ولم تتضرر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك
زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال
العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله فانت مع كل
ذلك مضيع زمانك واي تسلم من الافات التي ذكرناها ومن جملته ان
تسأل غيرك عما لا يعنيك فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجأت ايضا
صاحبك بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال

عنه آفة واكثر الاسولة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته
فتقول هل انت صايم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه
الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر
تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان
مستحقرا لك وتاذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى
جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال لافة الرياء والكذب او
للاستحقار او للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن ساير عباداته
وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك
عما حدث به غيره فتقول ماذا تقول وفيم انتم وكذلك ترى انسانا في
الطريق فتقول من اين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تأذى
واستحيى وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل
عن مسألة لا حاجة بك اليها والمسؤول ربما لا تسمح نفسه بان يقول لا
ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم بما لا يعني هذه الاجناس فان
هذا يتطرق اليه اثم ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روي ان لقمن دخل على
داود عليه السلام وهو يسرد الدرع فجعل يتعجب مما يرى فاراد ان يسأله
عن ذلك فمنعته حكمته فامسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود
ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمن الصمت حكم وقليل فاعله

اى حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل كان
تردد اليه سنه وهو يريد ان يعلم ذلك ولم يسئل فهذا وامثاله
الاسوله اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط فى رياء
وكذب فهو مما لا يعنى وتركه من حسن اسلام المرء. واما سببه
الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة
فى الكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا
فايدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسئول
عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان لسانه شبكه يقدر على ان
يقتنص بها الحور العين فاهماله وتضييعه خسران هذا علاجه من
حيث العلم واما من حيث العمل فالعزله وان يضع حجرا فى فيه وان يلزم
نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه
وضبط اللسان فى هذا على غير المعتزل شديد جدا **الافة الثانية**
فضول الكلام وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعنى
والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره
بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تادى مقصوده
بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانى فضول اى فضل عن الحاجة وهو
ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطا بن ابى

رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا
يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله وامرا بمعروف او
نهيا عن منكر او ان ينطق بحاجتك فى معيشتك التى لا بد لك منها
اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين وعن اليمين وعن الشمال
قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيى احدكم
اذا نشرت صحيفته التى املى صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر
دينه ولا دنياه. عن بعض الصحابه قال ان الرجل ليكلمنى بالكلام
لجوابه اشهى الى من الماء البارد الى الظمان فاترك جوابه خيفة ان
يكون فضلا وقال مطرف ليعظم جلال الله فى قلوبكم ولا تذكروه
عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه واعلم ان فضول الكلام
لا ينحصر بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى قال تعالى لا خير فى كثير
من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال
عليه السلام طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله
فانظر كيف قلب الناس فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان
وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى رهط من بنى عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا
وانت افضلنا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت

وانت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشار الى ان
اللسان اذا اطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان
الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول
الكلام بحسب امرء ما بلغ حاجته وعن مجاهد قال ان الكلام ليكتب
حتى ان الرجل يسكت ابنه فيقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب له
كذبة وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة وتوكل بك ملكان
كريمان يكتبان عملك فأمل ما شئت واكثر او اقل وروى ان سليمن
ابن داود بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه
قال فاخبروه انه مر على السوق فرفع رأسه الى السماء ثم نظر الى
الناس وهز رأسه فسئله سليمن فقال عجبت من الملائكة على رؤوس
الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يكتبون
وقال ابرهيم التيمي المؤمن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له والا
امسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر
كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب
نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي فاكثر فقال عليه السلام
كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي واسناني قال اما كان في ذلك
ما يرد كلامك وفي رواية انه قال ذلك في رجل فاثنى عليه فاستهتر في

الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل في لسان وقال عمر
ابن عبد العزيز انه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة وقال
بعض الحكماء اذا كان المرء في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان
ساكتا فاعجبه السكوت فليحدث وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة
العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه وان في
الاستماع سلامة وفي الكلام تزين ونقصان وزيادة وقال ابن عمر
ان احق ما طهر الرجل لسانه ورأى ابو الدرداء امرأة سليطة فقال
لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابرهيم يهلك الناس في
خصلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام
وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني

الآفة الثالثة الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكاية احوال
مخالطة النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء
وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك
مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو
ترك للاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض
في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه
باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن ان تحصى لكثرتها

ونفيسها فلذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين
والدنيا وفي هذا الجنس يقع من الكلمات ما يهلك صاحبها وهو يستحقر
لها وقال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت فيكتب الله له
بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما
يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه الى يوم يلقاه قال
وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه
يهوي بها ابعد من الثريا وقال ابو هريرة ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي
لها بالا يهوي بها في جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه
الله بها في الجنة وقال عليه السلام اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم
خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين
وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان
اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن
سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضأوا فان بعض ما
تقولون شر من الحدث وهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من
الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها

او تدبر في التوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه
الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من
قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والحديث فيه
خوض في باطل **الآفة الرابعة** المرا والمجادلة وذلك منهي عنه قال
عليه السلام لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال
عليه السلام ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا يؤمن فتنته وقال
عليه السلام من ترك المرا وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المرا
وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان
وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه
الا اوتوا الجدل وقال عليه السلام ايضا ما يستكمل عبد حقيقة الايمان
حتى يدع المرا وان كان محقا وقال عليه السلام ست من كن فيه بلغ حقيقة
الايمان الصيام في الصيف وضرب اعدا الله تعالى بالسيف وتعجيل الصلاة
في اليوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك
المرا وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا
تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه عرضة
للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانها ساعة

جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ
هداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال من الدين
بشي وقال ايضا المرا يقسي القلب ويورث الضغاين وقال لقمن لابنه يا
بني لا تجادل العلما فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رايت الرجل لجوجا
ممارئا معجبا برايه فقد تمت خسارته وقال سفين لو خالفت اخي في رمانة
فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال سفين صاف من
شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش وقال ابن ابي
ليلى لا امارى صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدردا
كفى بك اثما ان لا تزال ممارئا وقال عليه السلام تكفير كل لحاء ركعتان
وقال عمر لا تتعلم العلم لثلث ولا تتركه لثلث لا تتعلم لتمارى به ولا تباهي به
ولا ترائي به ولا تتركه حيا من طلبه وزهادة فيه ولا رضى بالجهل منه وقال عيسى
عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحا الرجال سقطت مروته
ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران
مالك لا يفارقك اخ لك فقال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في
ذم المراء والجدال كثير وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار
خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء
بترك الانكار والاعتراض وكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان

باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير
تارة يكون في لفظه باظهار خلل من جهة النحو او من جهة اللغة والعربية
او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتاخير وذلك تارة يكون من
قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه
لاظهار خلله واما في المعنى بان يقول ليس كما تقول وقد اخطات فيه في
كذا واما في قصده مثل ان يقول هذا حق ولكن ليس قصدك منه الحق
وانما انت فيه صاحب غرض وما يجرى مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسئلة
علمية خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال
على معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والنكادة او التلطف في
التعريف لا في معرض الطعن واما المجادلة عبارة عن قصد افحام الغير
وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل
فيه وآية ذلك ان يكون تنبهه للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل
بل يحب ان يكون هو المظهر له خطاه ليتبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه
ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا اثم به لو سكت واما الباعث
على هذا هو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما
شهوتان باطنتان للنفس قويتان اما اظهار الفضل من قبيل تزكية
النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبر وهي

من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو مقتضى طبع السبعية فإنه
يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان
مذمومتان مهلكتان وإنما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء
والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو
معصية مهما حصل فيه إيذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الإيذاء وتهييج
الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق
أو باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور التشاجر بين المتماريين كما
يثور التهارش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما
هو أعظم نكاية وأقوى إفحامه وإلجامه وأما علاجه فهو أن يكسر الكبر
الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتي
ذلك في كتاب الكبر وكتاب الغضب فإن علاج كل علة بإماطة سببها وسبب
المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس
ويعسر الصبر عنه روي أن أبا حنيفة قال لداود الطائي لم آثرت الانزواء
قال لأجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا
تتكلم قال ففعلت فما رأيت مجاهدة أشد علي منه وهو كما قال لأن من
يسمع من غيره خطأ وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر جدا ولذلك قال
عليه السلام من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة لشدة ذلك على

النفس وأكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فإن المراء طبع فإذا
ظن أن له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع
وذلك خطأ محض بل ينبغي للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا
رأى مبتدعا تلطف في نصحه على خلوة لا بطريق الجدال فإنه يخيل إليه أنه
حيلة في التلبيس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على
أمثالها لو أرادوا فتستمر به البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فإذا
عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال عليه السلام
رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه وقال
هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة
مدة وأثنى الناس عليه ووجد بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه
المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا إذا اجتمع عليه شيطان الكبر
والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات
يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها **الآفة الخامسة** الخصومة وهي أيضا
مذمومة وهو وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير لإظهار
خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية
الكياسة والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها والخصومة
لجاج في الكلام ليستوفي به مالا أو حقا مقصودا وذلك تارة يكون ابتداء

وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد
قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال
الى الله الالد الخصم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع
وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم
قط ورع في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة
فقال ما يجلسك قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي قال ان لابيك عندي
يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رأيت شيئا اذهب للدين ولا
انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من خصومة قال فقمت
لارجع فقال خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال عرفت حقي قلت لا
ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منه شيئا هو لك فان
قلت اذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في
حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف يذم خصومته فاعلم
ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل
وكيل القاضي فانه قبل ان يعرف ان الحق في اي جانب هو يتوكل في
الخصومة من غير اي جانب يكون فيخاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب
حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على

قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة
كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول
الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد
يستحقر ذلك القدر من المال ومن الناس من يصرح به ويقول انما
قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما
رميته في بئر ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهذا مذموم
جدا اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف
وزيادة لجاج على الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام
ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة
على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب
واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى
يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه
فمن ابتدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحظورات واقل ما فيه تشويش
خاطره حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد
الواجب والخصومة مبدأ كل شر وكذا الجدال والمراء فينبغي ان
لا يفتح بابه الا بضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان
والقلب عن تبعات الخصومة وكل ذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب

في خصومة فيسلم من الاثم ولا يذم بخصومته الا انه ان كان
مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا
للاولى ولا يكون اثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمرا والجدال
طيب الكلام وما ورد عليه من الثواب اذ اقل درجات طيبة الكلام
اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض
الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او
خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام يمكنكم من الجنة
طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال تعالى وقولوا للناس حسنا
وقال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله تعالى فاردد عليه وان كان
مجوسيا لان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها
او ردوها وقال ايضا لو قال فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها
من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله لمن اطعم الطعام واطاب الكلام
وروي ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل
له يا روح الله تقول هذا للخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر
وقد قال عليه السلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا
النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقال عمر البر شيء هين

وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكما كل كلام لا يسخط
ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله
يعوضك منه ثواب المحسنين وقال بعض الحكما الكلام اللين يغسل
الضغاين المستكنة في الجوارح فهذا كله في فضل الكلام الطيب ٥
ويضاده الخصومة والمرا والجدال واللجاج فان الكلام المستكره
المستنكر الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر
للصدر **الآفة السادسة** التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف
السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيهات والمقدمات وما
جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذ
موم
ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
والاتقيا من امتي برآ من التكلف وقال عليه السلام ان ابغضكم الي
وابعدكم مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقالت فاطمة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون الوان
الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال عليه
السلام الا هلك المتنطعون ثلث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصا
وقال عمر رضي الله عنه ان شقاق الكلام من شقاشق الشيطان وجا عمر
ابن سعد الى ابيه يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له ما

كنت من حاجتك ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل
البقر الكلا بألسنتها وكأنه انكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب
والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من آفات اللسان ويدخل فيه
كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العادة وكذلك التكلف
بالسجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين
فقال بعض القوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا
صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال عليه السلام اسجعا كسجع الاعراب
وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل
شي على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض فما ورا ذلك تصنع مذموم
ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط
واغراب لان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها
ولرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو لائق به واما المحاورات التي تجري في
قضا الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من
التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الريا واظهار الفصاحة والتميز
بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه **الآفة السابعة**
الفحش والسب وبذاة اللسان وهي منهي عنها مذمومة ومصدرها الخبث

واللوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان
الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله عن ان تسب قتلى
بدر من المشركين وقال لا تسبوا هولا فانه لا يخلص اليهم شي مما
تقولون وتوذون الاحيا الا ان البذا لوم وقال عليه السلام ليس
المومن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال عليه السلام
الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال عليه السلام اربعة
يوذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون
بالويل والثبور رجل يسيل فاه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد
اذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة
خبيثة فيستلذها مستلذ الرفث وقال عليه السلام يا عايشة لو
كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال عليه السلام البذا والبيان
شعبتان من شعب النفاق فيحتمل ان يكون المراد بالبيان هو كشف ما
ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد
التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين وفي صفات الله تعالى فان القا
ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية
البيان فيه شكوك ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب الى القبول
ولم يضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذا يشبه ان يكون المراد المجاهرة

بما يستحيي الانسان من شانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل
دون الكشف والبيان وقال عليه السلام ان الله لا يحب الفاحش
المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمره كنت جالسا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي امامي فقال عليه السلام
ان الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام في شي وان احسن الناس
اسلاما احاسنهم اخلاقا وقال ابرهيم بن ميسره يقام الفاحش
المتفحش يوم القيامة في صورة كلب او في جوف كلب وقال
الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوى الداء اللسان البذي والخلق
الردي فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة
بالعبارات الصريحة ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق
به ولان اهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيها
واهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها
بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس ان الله حيي كريم
يعف ويكني كنى باللمس عن الجماع والمسيس واللمس والدخول والصحبة
كنايات عن الوقاع ليست بفاحشة ومنها عبارات فاحشة يستقبح
ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة
في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف بعادة البلاد واوائلها

مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها
وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول
والتغوط اولى من لفظ التغوط والخراء وغيرهما فان هذا
ايضا مما يخفى وكل ما يخفى ويستحيا منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه
الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن
النسا فلا يقال قالت زوجتك بل يقال قال من في الحجر او قال
من وراء الستر او قالت ام الاولاد فالتلطف في هذه الالفاظ
محمودة والتصريح يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيي منها
فلا ينبغي ان يعبر عنه بصريح لفظه كالبرص والقرع والبواسير بل
يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل
في الفحش وجميع ذلك من افات اللسان وقال العلا بن هرون
كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج خراج في ابطه
فقلنا نسأله ماذا يقول فقلنا من اين خرج فقال من باطن اليد
والباعث على الفحش اما قصد الايذا واما الاعتياد الحاصل من مخالطة
الفساق واهل الخبث واللوم ومن عادتهم السب وقال اعرابي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله وان
امرؤ عيرك بشي يعلمه فيك فلا تعيره بشي تعلمه فيه يكن وباله عليه

واجره لك ولا تسبن شيا قال فما سببت شيا بعده وقال عياض
ابن حماد قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني فهل
علي باس ان انتصر منه فقال المستبان شيطانان يتهاذيان ويتهاترا ن
وقال عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي منهما ما لم يعتد
المظلوم وقال عليه السلام سباب المسلم فسوق وقتاله كفر
وقال عليه السلام ملعون من يسب والديه وفي رواية من اكبر
الكباير ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب والديه
قال يسب الرجل فيسب الرجل اباه

الآفة الثامنة

اللعن
اما لحيوان او جماد او لانسان وذلك مذموم قال عليه السلام
المؤمن ليس بلعان وقال عليه السلام لا تلاعنوا بلعنة الله ولا
بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول
وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره
اذا امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال
خذوا ما عليها فاعروها فانها ملعونة قال فكاني ارى تلك الناقة
تمشي في الناس لا يعرض لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن احد
الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله وعن عايشة قالت سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه

وقال يا ابا بكر اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة اللعانين
وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلثا فاعتق ابو بكر
يومئذ بعض رقيقه وجا الى النبي عليه السلام وقال لا اعود
وقال ان اللعانين لا يكونون شفعا ولا شهدا يوم القيامة وقال
انس كان رجل مع رسول الله على بعير فلعن بعيره فقال النبي صلى
الله عليه وسلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وكان
ذلك انكارا واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى
وذلك غير جايز الا على من يتصف بصفة يبعده من الله تعالى
وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الكافرين والظالمين
وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه
حكم على الله بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير
الله ويطلع عليه رسول الله اذا اطلعه الله عليه والصفات
المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق وللعن في كل
واحدة ثلث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على
الكافرين والمبتدعة والفسقة والثانية اللعن باوصاف اخص
منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس والقدرية
والروافض والخوارج وعلى الزناة والظلمة واكلي الربا وكل

ذلك جائز ولكن في لعن اوصاف المبتدعة خطر لان معرفة
البدعة غامض فما لم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي ان يمنع منه
العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير بين ذلك
نزاعا وفسادا والثالثة اللعن على الشخص وهذا فيه نظر كقولك
زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل
فيه ان كل شخص يثبت لعنته شرعا فيجوز لعنته كقولك
فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هولاء ماتوا
على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا
كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر
لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه
ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم
رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم
ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبته على الاسلام الذي هو سبب
الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو
سبب اللعنة فان هذا سوال الكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز
ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على
الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق مردد بين الجهتين ففيه

خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر
فهو في زيد الفاسق او زيد المبتدع اولى فلعن الاعيان فيه
خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان الا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك
كان يقول اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر
جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لا يعلم عاقبته كان
يلعنه فنهي عنه روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بير معونة
في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب
عليهم او يعذبهم يعني انهم ربما يتوبون فمن اين تعلم انهم ملعونون
وكذلك من بان موته على الكفر جاز لعنته وجاز ذمه ان
لم يكن فيه اذى على مسلم وان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سال عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال ابو بكر هذا
قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب
ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم
للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا يا رسول
الله بمثل هذا الكلام فقال عليه السلام اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم
اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا

خصصتم غضب الابناء للاباء فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان
الخمر وحد مرات في مجلس رسول الله فقال بعض الصحابة لعنه الله
ما اكثر ما يؤتى به فقال عليه السلام لا تكن للشيطان على اخيك
وفي رواية لا تقل فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك وهذا
يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة في لعنة الاشخاص
خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعنة ابليس فضلا عن غيره
فان قيل هل يجوز لعنة يزيد لكونه قاتل حسين وامر به قلنا هذا لم
يثبت اصلا فانه يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا
عن اللعنة لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز
ان يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل ابو لولوة عمر فان ذلك ثبت متواترا
فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال عليه السلام لا
يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن
صاحبه كذلك وقال عليه السلام ما شهد رجل على رجل بكفر الا باء
به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره
اياه وهذا معناه ان يشهد وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر
ببدعة او غيرها كان مخطيا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض

للاموات اشد قال مسروق دخلت على عايشة فقالت ما فعل
فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمة الله عليه قلت وكيف هذا
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات
فتوذوا الاحيا وقال ايضا ايها الناس احفظوني في اصحابي
واخواني واصهاري ولا تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا
منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل حسين لعنه الله او الامر
بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل حسين ان مات قبل
التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة وان وحشي قاتل حمزة
عم رسول الله قتله وهو كافر فتاب عن الكفر والقتل جميعا ولا
يجوز ان يلعن والقتل كبيرة لا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة
واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو اولى وانما اورد
هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان به والمؤمن ليس بلعان
ولا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر او على
الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال
بذكر الله اولى فان لم يمكن ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابرهيم
كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه
ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا با عون انما نذكره لما ارتكب

بلغ

منك فقال ابن عون انهما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة
لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان تخرج من صحيفتي لا اله الا الله
احب الي من ان تخرج لعنة الله وقال رجل لرسول الله اوصني فقال اوصيك
ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله كل طعان
لعان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله قال حماد بن زيد بعد ان
روى هذا ولو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة قال كان
يقال من لعن مؤمنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا
الى النبي ويقرب من اللعن الدعا على الانسان بالشر حتى الدعا على الظالم
يقول لا صح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه وكل ذلك
مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم
عنده فضله يوم القيمة **الافة التاسعة الغنا والشعر** وقد
ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغنا وما يحل فلا نعيده واما الشعر
فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلي بطن احدكم قيحا حتى يريه خير
من ان يمتلي شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل
له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شيء
من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر

وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام
يكره قال عليه السلام ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر
المدح والذم والتشبيب وقد يدخلها الكذب وقد امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حسانا بان يهجو الكفار والتوسع في المدح وان كان
كذبا فانه لا يلتحق بالتحريم بالكذب كقول الشاعر

فلو لم يكن في كفه غير روحه … لجاد بها فليتق الله سائله

فان هذه عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا
كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد منه
ان يعتقد صورته وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشعار لو تتبع لوجد فيه مثل ذلك ولم يمنع منه قالت عائشة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت اغزل فنظرت الى
رسول الله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت
قالت فنظر الي فقال ما لك بهتت فقلت يا رسول الله نظرت اليك وجعل
جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو راك ابو كبير الهذلي لعلم
انك احق بشعره قال وما يقول يا عائشة ابو كبير الهذلي فقلت يقول

ومبرا من كل غبر حيضة … وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى اسرة وجهه … برقت كبرق العارض المتهلل

قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام
اليّ وقبّل ما بين عينيّ وقال جزاك الله يا عايشة خيرًا ما سررت
منّي كسروري منك ولما قسّم الغنايم امر للعباس بن مرداس باربع
قلايص فانبعث يسئلو في شعر له وفي آخره

وما كان حصن ولا حابس يسودان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال عليه السلام اقطعوا عنّي لسانه فذهب به ابو بكر حتى اجازه مائة
من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم تقول الشعر فجعل يعتذر ويقول بأبي انت وامي اني
لاجد للشعر دبيبًا على لساني مثل دبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا
اجد بدًّا من ان اقول فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا
تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين الآفة العاشرة المزاح
واصله مذموم منهي عنه الا قدر يسير يستثنى منه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت
المماراة ايذاء لان فيه تكذيبًا للاخ والصديق او تجهيلًا اما المزاح
فمطايبة وفيه انبساط وطيبة قلب فلم نهي عنه فاعلم ان المنهي عنه
الافراط فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب

والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم واما الافراط
منه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك يميت القلب
ويورث الضغينة في بعض الاحوال ويسقط المهابة والوقار فما
يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقًّا ومثله يقدر على ان يمازح
ولا يقول الا حقًّا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك
الناس كيف كان وقد قال عليه السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة
ليضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه
من كثر ضحكه قلّت هيبته ومن مزح استخفّ به ومن اكثر من شيء عرف
به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قلّ حياؤه ومن قلّ
حياؤه قلّ ورعه ومن قلّ ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على
الغفلة عن الآخرة قال عليه السلام لو علمتم ما اعلم لضحكتم
قليلًا ولبكيتم كثيرًا وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد
النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم
الضحك قال فما رؤي ضاحكًا حتى مات وقال يوسف بن اسباط اقام
الحسن ثلثين سنة لم يضحك وقيل ان عطاء السلمي لم يضحك اربعين سنة
ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان

هولاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر لهم فما هذا فعل
الخايفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك
قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو
يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رايت في الجنة
رجلا يبكي الست تعجب من بكايه قال بلى قال فالذي يضحك في الدنيا
ولا يدري الى ماذا يصير هو اعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم
منه ان يستغرب ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا
يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال القسم مولى معاوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم
على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا الى النبي عليه السلام
ليسأله يفر به فجعل اصحاب النبي عليه السلام يضحكون به ففعل ذلك
ثلث مرات ثم وقصه وقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه
قلوصه فهلك قال نعم وافواهكم ملاى من دمه واما ادا المزاح الى سقوط
الوقار فقال عمر من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي
لا تمازح الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا
تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجتري عليك وقال
عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمزاح فانها تورث الضغينة وتجر

القبيحة تحدثوا بالقران وتجالسوا به فان يثقل عليكم فحديث
حسن من حديث الرجال وقال عمر اتدرون لم سمي المزاح مزاحا
قالوا لا قال لانه زاح عن الحق ويقال لكل شيء بذر وبذر العداوة
المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهى ومقطعة للاصدقا فان قلت
فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فكيف
نهي عنه فنقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله وهو ان
تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه
احيانا وعلى الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان
المزاح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل النبي عليه السلام
وهو كمن يدور مع الزنوج ابدا وينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول
الله اذن لعايشة في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطا
اذ من الصغاير ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة
بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا روى ابو هريرة انهم قالوا يا
رسول الله انك تداعبنا فقال واني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا
وقال عطا ان رجلا سال ابن عباس انه عليه السلام كسى ذات يوم
امراة من نسايه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلا
كذيل العروس وروى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

من افكه الناس وروى انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال
اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يدخل الجنة عجوز
فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا
انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وروى زيد بن اسلم ان امراة
يقال لها ام ايمن جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي
يدعوك فقال ومن هو اهو الذي بعينه بياض فقالت والله ما
بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال عليه
السلام ما من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة
وجاءته امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال عليه
السلام نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال عليه
السلام وهل من بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح به وقال انس
كان لطلحة ابن يقال له ابو عمير فكان رسول الله ياتي ابا عمير
فيقول يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به وهو ولد العصفور
وقالت عائشة خرجنا مع رسول الله في غزوة بدر فقال تعالى حتى
فاستبقناه
اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه فسبقني
فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاء يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية قد
بعثني ابي بشيء فقال اعطينيه فابيت وسعيت وسعى على اثري فلم
يدركني وقالت عائشة كان عندي رسول الله وسودة فصنعت
حريرا وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت
والله لتاكلن او لالطخن وجهك فقالت ما انا بذايقته فاخذت
من الصحفة شيئا فلطخت وجهها به ورسول الله جالس بيني وبينها
فخفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة
شيئا ومسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يضحك وروى ان الضحاك بن سفين الكلابي كان رجلا دميما قبيحا
فبايعه رسول الله ثم قال له عندي امراتان احسن من هذه الحميرا
افلا انزل لك عن احديهما فتتزوجها وعايشة جالسة تسمع قبل ان
يضرب الحجاب فقالت اهي احسن ام انت فقال بل انا احسن منها
واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها عايشة
اياه لانه كان دميما وروى عن ابي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه
كان يدلع لسانه للحسن بن علي فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال
عيينة بن بدر الفزاري والله ليكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه
وما قبلته قط فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم فاكثر
هذه المطايبات منقوله مع النساء والصبيان وكان ذلك من رسول
الله صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهن من غير ميل الى

هزل وقال عليه السلام لصهيب وبه رمد وهو يأكل التمر
أتأكل التمر وأنت رمد فقال إنما آكل بالشق الآخر فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت إلى
نواجذه وروي أن خوات بن جبير كان جالسا إلى نسوة من بني
كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله فقال يا أبا عبد الله
ما لك مع النسوة قال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى
رسول الله لحاجته ثم طلع فقال يا أبا عبد الله أما ترك ذاك الجمل
الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك أتفرر
منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت
حتى طلع علي وأنا أصلي فجلس إلي فطولت فقال لا تطول فإني أنتظرك
فلما فرغت قال يا أبا عبد الله أما ترك ذاك الجمل الشراد بعد قال
فسكت واستحييت فقام وكنت أتفرر منه حتى لحقني وهو على
حمار وقد جعل رجليه من شق واحد فقال يا أبا عبد الله أما ترك ذاك
الجمل الشراد بعد قال قلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت
قال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال فحسن إسلامه
وهداه الله وكان نعيمان الأنصاري رجلا مزاحا وكان يشرب
فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعليه ويأمر

أصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل
من الأصحاب لعنك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل
فإنه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة رسل ولا
طرفة إلا اشترى منها ثم جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول
هذا أهديته لك فإذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أعط ثمن متاعه فيقول
رسول الله أولم تهده فيقول يا رسول الله إنه لم يكن والله عندي
ثمنه وأحببت أن تأكله فيضحك رسول الله ويأمر لصاحبه بثمنه
فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها
هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب **الآفة الحادية عشرة**
السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا قال تعالى
لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار
والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه
وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء
وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت
عائشة حكيت إنسانا فقال النبي عليه السلام ما أحب أني حكيت إنسانا
ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا

يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء
بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهو اشارة الى ان الضحك على
الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي
عليه السلام خطب فوعظهم في ضحكهم في الضرطة وقال علام
يضحك احدكم مما يفعل وقال عليه السلام ان المستهزئين بالناس
يفتح لهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجي بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق
دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم هلم فيجي بكربه وغمه فاذا
اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب
فيقال له هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله
فكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به
واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم
اي لا تستحقره استصغارا ولعله خير منك وهذا انما يحرم في
حق من يتاذى به فاما من جعل نفسه مسخرة وفرح من ان يسخر به كانت
السخرية من جملة المزح وقد سبق ما يذم منه وما يحمد وانما المحرم
استصغار يتاذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك
تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا

كان مشوشا كالضحك على خطه وصنعته او على صورته
وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا بعيب من العيوب والضحك
من جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها

الآفة الثانية عشر

افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف
والاصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدث
الرجل الحديث ثم التفت فهو امانة وقال مطلقا الحديث بينكم
امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك
ويروى ان معاوية اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا
يا ابه ان امير المؤمنين اسر الي حديثا وما اراه يطوي عنك ما بسطه
الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه
كان الخيار عليه قال قلت يا ابه وان هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه
قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر
قال فاتيت معاوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك اخي من رق الخطأ
فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم ان لم يكن فيه
اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة
فلا نعيده

الآفة الثالثة عشرة

الوعد الكاذب فان اللسان سباق
الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك

من امارات النفاق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا
بالعقود وقال عليه السلام العدة عطية وقال عليه السلم
الوأى مثل الدين او افضل والوأى الوعد وقد اثنى الله تعالى
على نبيه اسمعيل فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا
فيقال انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين
يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمرو الوفاة قال انه
كان خطب الى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني شبه الوعد فوالله
لا القى الله بثلث النفاق اشهدوا اني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله
ابن ابي الحسماء قال بايعت النبي عليه السلام قبل ان يبعث وبقيت له
بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فاتيته
اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى قد شققت علي انا ها هنا
منذ ثلث انتظرك وقيل لابرهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء
قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلاة التي تجيء وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود
لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك
الجزم في الوعد فلا بد من الوفا الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما
على ان لا يفي فهذا هو النفاق قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه

وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وان صلى وزعم انه
مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال
عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه
كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى
يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا
خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفا
من غير عذر فاما من عزم الوفا او عن له عذر منعه من الوفا لم يكن
منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز
من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه
معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتى بثلثة من السبي
فاعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم تطلب منه وهي تقول الا ترى اثر الرحا بيدي فرسول الله في يدي
فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي الهيثم فاثره به
على فاطمة لما سبق له من موعده له مع انها كانت تدير الرحا بيدها
الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم
غنايم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك

موعدًا يا رسول الله قال صدقت فقال فاحتكم ما شئت قال
احتكم ثمانين شاة وراعيها فقال النبي عليه السلام هي لك
ولقد احتكمت يسيرًا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف
كانت احزم واجزل حكمًا منك حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني
شابة وادخل الجنة قيل وكان الناس يضعفون ما احتكم
به حتى جعل مثلًا فقيل اشح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم ليس الخلف ان يعد الرجل ومن نيته ان يفي
وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا
اثم عليه **الآفة الرابعة عشرة** الكذب في القول واليمين وهو من
قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن اوسط سمعت ابا بكر
الصديق يخطب بعد وفاة رسول الله فقال قام فينا رسول الله
مقامي هذا عام اول ثم بكى قال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما
في النار وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الكذب باب من ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق
اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل
الذي بني عليه النفاق الكذب وقال عليه السلام كبرت خيانة ان
تحدث اخاك حديثًا هو لك به مصدق وانت به كاذب وقال عليه السلام

لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا ومر
رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول
احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا ازيدك
على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما بالاثم
والكفارة وقال النبي عليه السلام الكذب ينقص الرزق وقال النبي
عليه السلام ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس الله قد احل
البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال
عليه السلام ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم المنان
بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال عليه
السلام ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت
نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثة يحبهم الله رجل كان في فئة نحره حتى يقتل او يفتح الله
عليه او على اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فيصبر على اذاه حتى يفرق
بينهما موت او ظعن ورجل كان مع قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى
حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلاثة
يشنؤهم الله التاجر او البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال
عليه السلام ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال عليه

السلام رايت كان رجلا جاني فقال قم فقمت معه فاذا انا برجلين
احدهما قايم والاخر جالس بيد القايم كلوب من حديد يلقمه في
شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الاخر
يمده فاذا مده رجع الاخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا قال
هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيامة وعن عبد الله بن جراد
انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هل يزني
المومن قال قد يكون من ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المومن فقال لا
ثم اتبعها رسول الله فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يومنون
وقال ابو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم
طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال عليه السلام
ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان
وملك كذاب وعايل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله
الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطك
فقال رسول الله وما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما انك لو لم
تفعلي كتبت عليك كذبة وقال عليه السلام لو افا الله علي نعما عدد
هذه الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا
وقال عليه السلام الا انبيكم باكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين

ثم قعد وقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة
ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال النبي عليه السلام تقبلوا الي
بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي قال اذا حدث احدكم فلا يكذب
واذا وعد فلا يخلف واذا ايتمن فلا يخون وغضوا ابصاركم وكفوا
ايديكم واحفظوا فروجكم وقال عليه السلام ان للشيطان كحلا
ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما
كحله فالنوم وخطب عمر بن الخطاب بالجابيه فقال قام رسول الله
كمقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو
الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يحلف ويشهد ولم يستشهد
وقال عليه السلام من حدث بحديث يرى انه كاذب فهو احد الكاذبين
وقال من حدث عني حديثا يرى انه كاذب فهو احد الكاذبين وقال
وقال عليه السلام من حلف على يمين اثم ليقتطع بها مال امرء مسلم بغير حق
لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان وروي ان النبي عليه السلام
رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال على كل خصلة يطبع او يطوى
عليها المومن الا الخيانة والكذب وقالت عايشه ما كان من خلق اشد
عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان

رسول الله يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره
حتى يعلم انه قد احدث لله منها توبة وقال موسى عليه السلام
يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا
يزني فرجه وقال لقمن يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور
عما قليل يقلاه صاحبه وقال عليه السلام في مدح الصدق اربع اذا
كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة
وحسن خليقة وعفة طعمة وقال ابو بكر في خطبة بعد وفاة
رسول الله فقام فينا رسول الله مقامي هذا عام اول ثم بكى فقال
عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال
عليه السلام لي اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد
وبذل السلام وخفض الجناح **واما الاثار** قال علي رضي الله عنه
اعظم الخطايا عند الله عز وجل اللسان الكذوب وشر الندامة
ندامة يوم القيامة وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ
شددت على ازاري وقال عمر احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم
فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم
حديثا واعظمكم امانة وعن ميمون بن ابي شبيب قال قعدت اكتب
كتابا فمررت بحرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على

تركه فنوديت من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي ما ادري
ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر
على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة وقيل لخالد بن صبيح من يكذب
كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم وقال ملك بن دينار قرات في
بعض الكتب ما من خطيب الا عرضت خطبته على عمله فان كان صادقا
صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه من نار كلما قرضتا نبتتا
وقال ملك بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما
صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شي فقال كم كذبت فقال
عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه **بيان** ما يرخص فيه من
الكذب اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب
وعلى غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشي على خلاف ما هو به
فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة
فالكذب تحصيل لذلك الجهل فيكون ماذونا فيه وربما كان واجبا
قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير ارايت لو ان رجلا
سعى واخر وراه بالسيف فدخل دارا فانتهى اليك فقال رايت فلانا ما
كنت قائلا الست تقول لم اره وما تصدق به فهذا الكذب واجب

طب

فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد وكل مقصود محمود يمكن التوصل
اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن
التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل
ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم
المسلم واجب فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم
فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب واصلاح ذات
البين واستمالة قلب المجني عليه الا بكذب فالكذب مباح الا انه
ينبغي ان يحترز منه ما امكن لانه اذا فتح باب الكذب فيخشى ان يتداعى
الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على حد الضرورة فكان الكذب
حرام في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام
كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شي
الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول
القول في الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها وقالت
ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين
اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسما بنت يزيد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل كذب
بين رجلين يصلح بينهما وروى عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت
ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثنا ولقيت الاخر
فقلت مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين
هذين فاخبرت النبي فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو بعني الكذب
وقال عطا بن يسار قال رجل للنبي عليه السلام اكذب اهلي قال لا
خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك وروي ان
ابن ابي عزره الدولي كان في خلافة عمر يخلع النسا اللاتي يتزوج
فطار له في الناس احدوثة يكرهها فلما علم بذلك امر بعبد الله بن
ارقم حتى ادخله بيته فقال لامراته انشدك الله هل تبغضيني
قالت لا تنشدني قال فاني انشدك بالله قالت نعم قال لابن ارقم
اسمع ثم انطلقا الى عمر فقال انكم تحدثون اني اظلم النسا واطلقهن
فاسئل ابن ارقم فسئله فاخبره فارسل الى امراة ابن ابي عزره فجاءت
وعمتها فقال انت التي تحدثين لزوجك انك تبغضيه فقالت اني اول
من تاب وراجع امر الله تعالى انه ناشدني فتحرجت ان اكذب افاكذب
يا امير المومنين قال نعم فاكذبي فان كانت احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه
بذلك فان اقل البيوت التي تبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام
والانساب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم مالي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش
في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب في الحرب
فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحنا فيصلح بينهما او يحدث
امراته يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم
او دفع عنه ضررا وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله
فلان اخر من السما احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني
وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلث ورد فيها صريح الاستثنا وفي معناها
ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له او لغيره اما ما له فمثل ان
ياخذه ظالم ويسله عن ماله فله ان ينكر او ياخذه السلطان فيسله
عن فاحشة بينه وبين الله عز وجل ارتكبها فله ان ينكر فيقول
ما زنيت ولا شربت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتكب
شيا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار
الفاحشة فاحشة اخرى فللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يوخذ
ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسال عن
سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسايه
بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه او كانت امراته لا تطيعه الا بوعد
ما يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب

قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد ان
الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور
فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزن بالقسط فاذا علم ان المحذور
الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب
وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد
يتقابل الامران بحيث يتردد فيه وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان
الكذب يباح بضرورة او حاجة مهمة فاذا شك في كون الحاجة مهمة
فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد
ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت
الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق
بغرض غيره فلا يجوز المسامحة بحق الغير والاضرار واكثر كذب الناس
انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولامور ليس فواتها
محذورا حتى ان المراة تحكي عن زوجها ما تتفاخر به وتكذب لاجل
مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسما سمعت امراة تسال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل
اضارها بذلك فهل لي فيه شي قال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي
زور وقال النبي عليه السلام من تطعم بما لم يعط وقال لي وليس له

واعطيته ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل
في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذي لم
يثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف
من ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء والصبيان
فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد او تخويف
كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبه ولكن
الكذب المباح ايضا يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه
ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور
كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه
وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبه فقد
وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في
الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان
يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما يودي الى سفك دم او ارتكاب
معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في
فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه
صحيح وهو خطا محض اذ قال عليه السلام من كذب علي متعمدا
فليتبوا مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة

اذ في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الايات والاخبار
كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك تكرر على الاسماع
وسقط وقعها وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ما
هذا من الاغراض الذي يقاوم محذور الكذب على رسول الله وعلى
الله تعالى ويودي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير
هذا شره اصلا فالكذب على رسول الله من الكبائر التي لا يقاومها
شيء **بيان** الحذر من الكذب بالمعاريض وقد نقل عن السلف
ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر اما في المعاريض ما
يكفي الرجل من الكذب وروي ذلك عن ابن عباس وغيره وانما
ارادوا ذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن
حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض والتصريح جميعا ولكن التعريض
اهون ومثال المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه
فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله
وقال ابرهيم اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذب فقل ان الله
ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله حرف النفي عند المستمع
وعنده للابهام وكان معاذ عاملا لعمر فلما رجع قالت امراته ما جيت
به مما ياتي به العمال من عراضة اهليهم وما كان من خنابه فقال كان

معي ضاغط قالت كنت عند رسول الله وابي بكر فبعث معك
عمر ضاغطا فقامت بذلك في نسايها واشتكت عمر فلما سمع عمر
دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به
اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئا فقال ارضها بذلك وقوله
ضاغطا يعني ربه تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك
سكرا بل يقول أرايت لو اشتريت لك فانه ربما لا يتفق وكان
ابرهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي اطلبه في المسجد
وكان لا يقول ليس هاهنا كيلا يكون كاذبا وكان الشعبي اذا طلب
في البيت وهو يكرهه يخط دايرة ويقول للجارية ضعي الاصبع فيها
وقولي ليس هاهنا وهذا كله في موضع الحاجة واما في غير موضع
الحاجة فلا لان هذا يفهم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا
فهو مكروه على الجملة لما روى ابن عبد الله بن عتبة قال دخلت
مع أبي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون
هذا كساكه امير المومنين فكنت اقول جزى الله امير المومنين خيرا
فقال لي يا بني اتق الله اياك والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك
لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لاجل المفاخرة وهو غرض باطل
ولا فايدة فيه نعم المعاريض تباح بغرض خفيف كتطييب قلب الغير

بالمزاح كقوله عليه السلام لا تدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك
بياض ونحملك على ولد البعير فاما الكذب الصريح فما فعله نعيمان
الانصاري مع عثمن في قصة الضرير اذ قال له انه نعيمان وكما
يعتاده الناس بملاعبة الحمقى بتغريرهم بان امراة قد رغبت في
تزويجك فان كان فيه ضرر يودي الى ايذا قلب فهو حرام وان لم
يكن الا المطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكنه ينقص ذلك
من درجة ايمانه قال عليه السلام لا يستكمل المرء الايمان حتى يحب
لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله عليه
السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها يهوي بها ابعد ما بين الثريا
اراد ما فيه غيبة مسلم او ايذا قلب دون محض المزاح ومن الكذب
الذي لا يوجب الفسق ما جرت العادة به في المبالغة كقولك قلت لك
مایة مرة وطلبتك مایة مرة فانه لا يراد به تفهيم المرات بعددها
بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان
طلب مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم يبلغ مایة وبينهما
درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد
الكذب فيه ويتساهل به ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك
منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسما بنت

عميس كنت صاحبة عايشة التي هيأتها وادخلتها على رسول الله
ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب
ثم ناوله عايشة قالت فاستحيت الجارية قالت فقلت لا تردي يد
رسول الله خذي منه قالت فاخذته على حيا فشربت منه ثم
قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا
قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشي تشتهيه لا اشتهيه
أيعد ذلك كذبا قال ان الكذب ليكتب حتى يكتب الكذيبة كذيبة
وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال
الليث بن سعد كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج
عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول واين قول الطبيب وهو
يقول لي لا تمس عينك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع
ومن تركه انسل لسانه عن اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات
التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة الى ابن لي فانكبت عليه فقالت
كيف انت يا بني فجلس ربيع وقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت
يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال
عيسى ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا
يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال عليه السلام

ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يري عينيه في المنام
ما لم يرا او يقول علي ما لم اقل وقال عليه السلام من كذب
في حلم كلف يوم القيمة ان يعقد شعيرة **الافة الخامسة عشر**
الغيبة والنظر فيه طويل فنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد
فيها من شواهد الشرع وقد نص الله تعالى في كتابه وشبه صاحبها
باكل لحم الميتة قال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام كل المسلم
حرام على المسلم دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض
وقد جمع الله تعالى بينه وبين الدم والمال وقال ابو برزة قال
رسول الله لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا
عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل
قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى
يغفر له صاحبه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت يا
جبريل من هولا قال هولا الذين يغتابون الناس ويقعون في اعرا
وقال سالم بن جابر اتيت رسول الله فقلت علمني خيرا ينفعني الله به

ضهم

قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء
المستسقي وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابه
وقال البراء خطبنا رسول الله حتى اسمع العواتق في بيوتها فقال
يا معشر من امن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين
ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته
ومن تتبع الله عورته يفضحه الله في جوف بيته واوحى الله تعالى
الى موسى من مات تائبا من الغيبة فهو اخر من يدخل الجنة ومن مات
مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال انس امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى اذن
له فقام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجي فيقول الله ظللت
صائما فاذن لي لافطر فياذن له والرجل والرجل حتى يجي رجل
فقال يا رسول الله فتاتان من اهلك ظلتا صائمتين وانهما
يستحيان ان ياتياك فامر لهما فليفطرتا فاعرض عنه ثم عاوده
فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف صام من ظل اليوم اكل
لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا فرجع اليهما
فاخبرهما فاستقاتا فقاءت كل واحدة منهن علقة من دم فرجع الى
النبي فاخبره فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيت في بطونهما لاكلتهما

النار وفي رواية لما اعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول
الله انهما والله قد ماتتا او كادتا ان تموتا فقال النبي عليه
السلام ايتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحديهما
قائي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال
للاخرى قائي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا مما احل الله
لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احديهما الى الاخرى
يا كلان لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر الربوا واعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل
من الربوا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلثين زنية يزنيها
الرجل بامه وادنى الربوا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا
مع رسول الله في مسير فاتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال
اما انهما لا يعذبان في كبير اما احدهما فكان يغتاب الناس واما
الاخر فكان لا يستنزه من بوله ودعا بجريدة رطبة او جريدتين
فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست على قبر فقال عليه السلام اما
انه يخفف عنهما ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا ولما
رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل في الزنى فقال
رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي معهما بجيفة

فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما
اصبتما من اخيكما انتن من هذه وكان الصحابة يتلاقون بالبشر
ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون
خلاف عادة المنافقين وقال ابرهيم من اكل لحم اخيه في
الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة فقيل له كله كما اكلته حيا
فيأكله ويضج ويكلح وروي مرفوعا كذلك وروي ان رجلين
كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا
فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه شيء فاقيمت الصلاة فدخلا وصليا
مع الناس فجال في انفسهما ما قالا فاتيا عطا فسألاه فامرهما
ان يعيدا الوضوء والصلاة وان كانا صائمين امرهما ان يقضيا صيام
ذلك اليوم وعن مجاهد قال ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في
الناس واللمزة الذي ياكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر
لنا ان عذاب القبر ثلاثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول
وثلث من النميمة وقال الحسن والله للغيبة اسرع في دين المرء
من الاكلة في جسده وقال بعضهم ادركنا السلف وهم
لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن
اعراض الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك

فاذكر عيوبك وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه
ولا يبصر في عين نفسه وكان الحسن يقول ابن ادم انك لن تصيب
حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدا
باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك
كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان
هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى بن مريم والحواريون على
جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا فقال عيسى
ما اشد بياض اسنانه كانه ينهاهم عن غيبة الكلب وينبههم
على انه لا يذكر شيء من خلق الله الا احسنه وسمع علي بن الحسين
رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس
وقال عمر عليكم بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه
داء **بيان** معنى الغيبة وحدها اعلم ان حد الغيبة ان تذكر
اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه او في نسبه
او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه وحتى في ثوبه
وفي داره ودابته اما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع
والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف
به مما يكرهه واما النسب بان تقول ابوه نبطي او هندي او فاسق او

خنشس او اسكاف او فرا او شئ مما يكرهه كيف كان واما
الخلق فان يقول انه سيئ الخلق بخيل متكبر مراى شديد الغضب
جبار عاجز ضعيف القلب متهور وما يجرى مجراه واما فى افعاله
المتعلقة بالدين كقولك سارق وكذاب وشارب وخاين وظالم
ومتهاون بالصلاة وبالزكاة لا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز
عن النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكاة مواضعها ولا
يحسن قسمتها ولا يحرس صومه من الرفث والغيبة والتعرض
لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا كقولك انه قليل
الادب يتهاون بالناس ولا يرى لاحد حقا على نفسه ويرى لنفسه
حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نوم وينام فى غير وقته
ويجلس فى غير موضعه واما فى ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل
وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة فى الدين لانه ذم ما ذمه الله
فذكره بالمعاصى وذمه يجوز بدليل ما روى انه ذكر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم امراة وذكر صومها وصلاتها لكنها تؤذى
جيرانها فقال انها فى النار وذكر امراة اخرى بانها بخيلة فقال
فما خيرها اذن وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك
لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج

اليه فى غير مجلس رسول الله والدليل عليه اجماع الامة
ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره
رسول الله فى حد الغيبة وكل هذا وان كنت به صادقا فانت
به مغتاب عاص لربك واكل لحم اخيك بدليل ما روى عن النبى
عليه السلام قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله
اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان فى اخى ما
اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فقد
بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند النبى عليه السلام
فقالوا ما اعجزه فقال اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا
ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن
عايشة انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال النبى عليه السلم
اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك
والكل فى كتاب الله الغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ما ليس فيه
والافك ان تقول بما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك
الرجل الاسود ثم قال استغفر الله انى ارانى قد اغتبته وذكر
ابن سيرين ابراهيم النخعى ولم يقل الاعور وقالت عايشة لا اغتابن
احدا ابدا انى قلت لامراة مرة وانا عند النبى عليه السلام

هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم

بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان اعلم ان الذكر باللسان
انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه
فالتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايما
والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل
في الغيبة فهو حرام ومن ذلك قالت عايشة دخلت علينا
امراة فلما ولت اومات بيدي انها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتيها
ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو
اشد من الغيبة في التصوير والتفهيم ولما راى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عايشة حكت فقال ما يسرني اني حاكيت ولي
كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر
المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن
به شي من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي واما قوله قال قوم
كذا فليس بغيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي واما ميت
ومن الغيبة ان يقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رايناه اذا
كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون
ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم اذا كره من انسان شيا قال ما بال اقوام يفعلون
كذا وكذا وكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر وبعض من
يدعي العلم اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة
واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون على
صنعة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة
ويفهمون المقصود ولا يدرون لجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين
الريا والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله
الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام
او يقول نعوذ بالله من قلة الحيا نسال الله ان يعصمنا منه وانما
قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعا وكذلك قد
تقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان
يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا
وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره وان يمدح
نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا
ومزكيا نفسه ويجمع بين ثلث فواحش وهو يظن بجهله انه من
الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان باهل الجهل
اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده

عملهم ويضحك عليهم ويسخر بهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان
فلا ينتبه له بعض الحاضرين فيقول له في تحقيق جنته وهو ممن على
الله بذكره جهلا منه وغرورا وكذا يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا
من الاستخفاف فنسأل الله ان يروح سره ويكون كاذبا في دعوى
الاغتمام وفي اظهار الدعا له بل لو قصد الدعا لاخفاه في خلوة
عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك
يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو
كل ذلك يظهر الدعا والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده
وهو بجهله لا يدري قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له الجهال اذا
جاهروا ومن ذلك الاصغا الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما
يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيه فكأنه
يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت انه كذلك
ما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا
الله من بلايه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة
غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم المستمع احد المغتابين وقد روي عن ابي بكر وعمر ان احدهما
قال لصاحبه فلان لنوم ثم طلبا اداما من رسول الله لياكلا معه

الخبز فقال عليه السلام قد ايتدمتما فقالا ما نعلمه فقال بلى
ما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل
احدهما والاخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما اقعص
الرجل كما يقعص الكلب نهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما
والمستمع ما يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه
وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله لزمه
وان قال بلسانه اسكت وهو مشته ذلك بقلبه فذلك
نفاق ولا يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي ان يشير
باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار
للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم
ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلايق وقال ابو الدردا
قال النبي عليه السلام من رد عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا
على الله عز وجل ان يرد عن عرضه يوم القيمة وقال ايضا
من ذب عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار
وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة
اوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول

بالاعادة **بيان** الاسباب الباعثة على الغيبة اعلم ان البواعث
على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد في حق
العامة وثلاثة تختص باهل الدين والخاصة اما الثمانية فالاول
شفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فاذا اهتاج
غضبه يشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن
دين وازع وقد يمنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في
الباطن ويصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي
فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة الثاني موافقة
الاقران ومجاملة الرفقا ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا
يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه
ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه
مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج ان يغضب لغضبهم
اظهارا للمساهمة في السرا والضرا فيخوض معهم في ذكر العيوب
والمساوي الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول
لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره
قبل ان يقبح هو حاله ويطعن هو فيه ليسقط هو اثر شهادته
او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه

بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب
فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله وكان كما قلت الرابع ان ينسب الى
شيء فيريد ان يتبرا منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبري
نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه او يذكر غيره
بان كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه ولا يذكر
الذي فعله فلا في فعله الخامس ارادة التصنع والمباهات
وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه
ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه
ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه
لذلك السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس
عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد
سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس
حتى يكفوا عن كرامته والثنا عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثنا
الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب
والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد
قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق السابع اللعب والهزل
والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس

على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب الثاني الكبر واستصغار
المستهزأ به واما الاسباب الثلثة التي في الخاصة فهي اغمضها
وادقها لانها شرور يخباها الشيطان في معرض الخيرات وفيها
خير ولكن شاب الشيطان الشر به الاول ان تنبعث من الدين
داعية التعجب من انكار المنكر والخطا في الدين فيقول ما
اعجب ما رايت من فلان فانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر
ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان ذكر
اسمه في ذكر تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدري واثم ومن ذلك
قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة
وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل الثاني الرحمة وهو ان
يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما
ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن
ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا
وكذا تعجبه ولكن ساقه الى الشر من حيث لا يدري والترحم والتغمم
ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به
ثواب اغتمامه وترحمه الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب
على منكر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه

فكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف ولا
يظهره على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلث
مما يغمض دركه على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون ان
التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا في
ذكر الاسم وهو خطا بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا
مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سياتي روي عن عامر بن واثلة ان
رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسلم عليهم فردوا السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم قم
فادركه فاخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل
رسول الله وحكى له ما قال وسال ان يدعوه فدعاه وساله
فقال قد قلت ذاك فقال رسول الله لم تبغضه قال انا
جاره وانا به خابر والله ما رايته يصلي صلاة قط الا هذه
المكتوبة قال فسله يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او
اسات الوضوء لها والركوع والسجود فقال لا قال والله ما
رايته يعطي سائلا ولا مسكينا ولا رايته ينفق من ماله شيئا في سبيل
الخير الا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله هل
رآني نقصت منها او ماكست فيها طالبها الذي يسالها فساله

اني لابغض هذا لله فقال اهل المجلس
والله لبئس والله ما قلت لننبئنه صح
قم يا فلان لرجل منهم

فقال لا فقال قم لعله خير منك بيان العلاج الذي به يمنع
اللسان عن الغيبة اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج
بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص
عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على
الجملة والاخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه
لسخط الله بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها تحبط
حسناته فانه ينقل في القيمة حسناته الى من اغتابه بدلا
عما استباحه من عرضه وان لم يكن له حسنات نقل اليه من سيئاته
وهو مع ذلك متعرض لمقت الله ومشبه عنده باكل الميتة
بل العبد يدخل النار بان ترجح كفة سيئاته وربما ينقل اليه
سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل به الرجحان ويدخل به النار
وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة
والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات
العبد وروي ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما
بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي فمهما امن العبد بما ورد
به الاخبار لم ينطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا

ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه
وذكر قوله عليه السلام طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس
ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحيي من ان يترك نفسه ويذم
غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك
العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره
وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد
ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح فقال ما كان خلق
وجهي الي فاحسنه واذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر
الله ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل
لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه
انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب
وينفعه ان يعلم ان تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له
فاذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما
لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جميلة واما التفصيل
فهو ان ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة
بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه
بما سيأتي في كتاب افات الغضب وهو ان يقول ان امضيت

غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه على بسبب الغيبة اذ نهى
عنه فاستجرأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال
عليه السلام ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية
الله تعالى وقال عليه السلام من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف
غيظه وقال عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر ان
يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى
يخيره في اي الحور شاء وفي بعض كتب الله يا ابن ادم اذكرني
حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق واما
الموافقة فبان يعلم ان الله يغضب عليك اذا طلبت سخطه في
رضى المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر
مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله وذلك
لا يوجب ان يذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان يغضب لله ايضا
على رفقائك اذا ذكروه بسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب
وهو الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الجناية الى الغير
حيث يستغنى عن ذكر الغير فيعالجه بان يعرف بان التعرض
لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت المخلوق وانت بالغيبة متعرض
لسخط الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا

فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الاخرة او تخسر
حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله لك نقدا وتنتظر
دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخسران والخذلان
واما عذرك كقولك اني ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان
قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر
بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله لا يقتدى
به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها
لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك فما ذكرته غيبة وزيادة
معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت من المعصيتين
على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى العنز تردي نفسها
من الجبل فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان وصرحت بالعذر
وقالت العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك افعل
لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك
من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة
الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت
فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما
نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فيكون قد بعت ما

عند الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما ولو حصل لك من
المخلوق اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا
واما الغيبة للحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على
نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت
اليه عذابا في الآخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك
ايضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك
واصبت نفسك واهديت اليه حسنتك فاذا انت صديقه
وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل
اليه حسنتك او تنقل اليك سيئته ولا تنفعك وقد جمعت
الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك
سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود

واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء
نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في
حسرتك وحيائك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزأت
به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت
حالك لكنت اولى ان تضحك منك فانك تسخر به عند نفر قليل

وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك في القيامة على ملأ من الناس
ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك
وفرحا بخزيك وسرورا بنصرة الله اياه وتسلطه على
الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن
حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما
هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه
مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط
اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب
الغيبة وانما حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط اجر غضبك
وتصير معرضا لغضب الله تعالى بالغيبة واما التعجب اذا
اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف اهلكت دينك
بدين غيرك او بدنياه وانت من ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا
وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذا
علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقيق بهذه الامور التي
هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن
الغيبة لا محالة **بيان تحريم الغيبة بالقلب** اعلم ان سوء
الظن حرام مثل سوء القول وكما يحرم عليك ان تحدث غيرك

بلسانك بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسي
الظن باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره
بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك
ايضا معفو عنه ولكن المنهي عنه ان تظن والظن عبارة عما
تركن اليه النفس ويميل اليه القلب وقد قال تعالى اجتنبوا كثيرا
من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا
يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا
الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند ذلك لا
يمكنك ان لا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده
بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فان الشيطان يلقيه
اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق وقد قال تعالى
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما
بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على
فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به لان الفاسق يتصور
ان يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك ان تصدق به حتى ان من
استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال
يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر ومجها وما شربها او حمل عليه قهرا

فكل ذلك دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة
الظن بالمسلم به فقد قال عليه السلام ان الله حرم من المسلم
دمه وماله وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء
الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة او بينة
عادلة فاذا لم يكن ذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه
عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان
فان ما رايته يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا تعرف عقد
الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فاقول امارة عقد الظن
ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ويستثقله
ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه
وهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال عليه السلام
ثلث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه
اي لا يحقق في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوا (رح)
اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وفي الجوارح
بالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة
مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك
وذكائك فان المؤمن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناظر

بغرور الشيطان وظلمته فاما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك
الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على
هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا من الظن فلا
ينبغي ان تحسن الظن بواحد وتسي بالاخر نعم ينبغي ان تبحث هل
بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه وقد
رد الشرع شهادة الاب العدل للتهمة ورد شهادة العدو
فلك عند ذلك ان تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه
ولكن تقول المذكور حاله كان في ستر الله عندي وكان امره محجوبا
وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شي من امره وقد يكون الرجل
ظاهر العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن من عادته
التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل
فان المغتاب فاسق وان كان ذلك من عادته ردت شهادته الا
ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا
بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر سو على مسلم فينبغي
ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان
ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السو خيفة من اشتغالك
بالدعا والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر

ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته
فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك
بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستصغار وترتفع عنه بايذاء
الوعظ له وليكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما
تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه
ذلك من غير نصحك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت
فعلت ذلك كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم
بمصيبته واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سو الظن
التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل
بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة
وسو الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس ان
لا تترك عباد الله تحت ستر الله فتتوصل الى الاطلاع وهتك
الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك كان اسلم
لقلبك ودينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس
وحقيقته

بيان الاعذار المرخصة في الغيبة

اعلم ان
المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن
التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة الاول

الظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان
مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم
الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفا حقه
الا به وقد قال عليه السلام ان لصاحب الحق مقالا وقال
مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته الثاني
الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح
كما روى ان عمر مر على عثمن وقيل على طلحة فسلم عليه فلم يرد
فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه وذكر له ذلك فجاء ابو بكر
ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك قيل لعمر
ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بسم
الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم غافر الذنب
وقابل التوب الاية فتاب ولم ير عمر ذلك ممن قاله غيبة
اذ كان قصده ان ينكر عليه عمر فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح
غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح وان لم يكن ذلك هو
المقصود كان حراما الثالث الاستفتا كما تقول للمفتي قد ظلمني
ابي او زوجي او اخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض
بان تقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او زوجه ولكن التعيين مباح

صوابه لي بلام ويا

بهذا القدر لما روي عن هند انها قالت للنبي عليه السلام
ان ابا سفين رجل شحيح ما يعطيني ما يكفيني انا وولدي
افاخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف
فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله
اذ كان قصدها الاستفتا الرابع تحذير المسلمين من الشر
فاذا رايت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان
تتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه
مهما كان الباعث لك الخوف على سراية البدعة والفسق لا
غير وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث
ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك
من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب
آخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضرره وفي ذكرك
ضرر العبد والمشتري اولى بمراعات جانبه وكذلك المزكي
اذا سئل عن الشاهد فله الطعن وكذلك المستشار في
التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب فان علم انه لا
ينزجر الا بالتصريح نعته فله ان يصرح به قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اترعون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس

اذكروه بما فيه تحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة
لهم الامام الجائر والمبتدع والجاهر بفسقه الخامس
ان لا يكون الانسان معروفا باسم يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش
فلا اثم على من يقول روى ابو الزناد عن الاعرج وسليمن الاعمش وما
يجري مجراه فقد فعل العلما ذلك لضرورة التعريف ولانه صار
ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهورا به نعم
لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى
ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص السادس ان
يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب
الخمر ومصادرة الناس وكان يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف
من ان يذكر له ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكر منه ما يتظاهر به فلا اثم
عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحيا
عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر بن الخطاب ليس لفاجر حرمة
واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من
مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر
المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة وقال
الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق

122

وهولاء الثلثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون
به فكيف يكرهون ذلك فهم يقصدون اظهاره نعم لو
ذكره بغير ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين
فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج
ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا
كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج

بيان كفارة الغيبة اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم
ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله ثم يستحل المغتاب
ليحله ويخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متأسف
نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي
الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقال
الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك
بما روى انس بن مالك كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال
مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير
وسئل عطا بن ابي رباح عن التوبة من الفرية فقال يمشي الى صاحبه
ويقول كذبت فيما قلت وظلمت واسات فان شئت اخذت
بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا

لا عوض له فلا يجب الاستحلال بخلاف المال والكلام ضعيف
اذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل
الصحيح ما روي انه عليه السلام قال من كانت لاخيه عنده
مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه من قبل ان يأتي يوم
ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن
له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيد على سيئاته وقالت
عايشه لامرأة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها
فاستحليها فلا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا
او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات
فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه تبرع والتبرع فضل
وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في
الثنا عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم
يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل
بها سيئة الغيبة في القيمة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد
ابن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه
فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرمه الله
ابدا فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي

ان يستحلها وتحليل ما حرمه الله غير ممكن فنقول المراد به
العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين
حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره
الغيبة فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال
اني تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق
به فهل يباح تناوله فان كان لا ينفذ صدقته فما معنى الحث فنقول
معناه اني لا اطلب مظلمة في القيامة ولا اخاصم والا فلا تصير
الغيبة حلالا ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا
انه وعد وله العزم على الوفا ان لا يخاصم وان رجع وخاصم كان
قياس سائر الحقوق ان له ذلك بل قد صرح الفقها بان من اباح
القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة
الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا جثت الامم بين
يدي الله تعالى يوم القيمة نودوا ليقم من كان اجره على الله
فلا يقوم الا من عفى في الدنيا وقد قال الله تعالى خذ
العفو الآية فقال رسول الله يا جبريل ما هذا فقال ان الله
يأمرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك

وقد روى عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك
فبعث اليه طبقا من الرطب فقال بلغني انك قد اهديت الي
حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني فاني لا اقدر
ان اكافيك على التمام **الافة السادسة عشر النميمة** قال
الله تعالى همار مشا بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم
قال عبد الله بن المبارك ولد الزنى لا يكتم الحديث واشار
الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد
الزنى استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو
الدعى وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال
تعالى حمالة الحطب كانت نمامة حمالة الحديث وقال تعالى
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيا قيل كانت امراة لوط
تخبر بالضيفان وامراة نوح كانت تخبر انه مجنون وقد قال
عليه السلام لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر لا يدخل
الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم احبكم الى احسنكم اخلاقا الموطؤن
اكنافا الذين يالفون ويولفون وان ابغضكم الى المشاؤن بالنميمة
المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرا العثرات وقال عليه السلام

الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون
بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال ابو ذر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشاد على مسلم كلمة
ليشينه بها بغير حق شانه الله في النار يوم القيمة وقال
ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل
اشاع على مسلم كلمة وهو منها برى ليشينه بها في الدنيا كان
حقا على الله عز وجل ان يذيبه بها يوم القيمة في النار ويقال
ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي
قالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله لا يسكن فيك
ثمانية انفس من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر ولا مصر على
الزنى ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا الشرطي ولا المخنث
ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله ان لم افعل كذا
وكذا ثم لم يف به وروى عن كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط
فاستسقى موسى ثلث مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اني
لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال
موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن

وقال ابو هريرة قال رسول الله
من شهد على مسلم شهادة ليس لها
باهل فليتبوأ مقعده من النار

ون

النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فتبعوا ويقال رحل
الى حكيم سبعماية فرسخ فى سبع كلمات فلما اقدم عليه قال
انى جئتك للذى اتاك الله من العلم اخبرنى عن السماء وما
اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى
منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد
منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه
قال البهتان على البرى اثقل من السموات والحق اوسع من
الارض والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر
من النار والحاجة الى القريب اذا لم ينجح ابرد من الزمهرير وقلب
الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم

بيان حد النميمة وما يجب فى ردها اعلم ان اسم النميمة انما يطلق
فى الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان تكلم
فيك بكذا وكذا وليس النميمة مخصوصة به بل حدها كشف
ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه
ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكناية او بالرمز او بالايماء
وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك
عيبا ونقصا على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة

افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كلما رآه الانسان
من احوال الناس فينبغى ان يسكت عنه الا ما فى حكايته فائدة
لمسلم او دفع لمعصية كما اذا راى من يتناول مال غيره
فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا رآه
يخفى مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء السر فان كان ما
ينم به نقصانا وعيبا فى المحكى عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة
والباعث على النميمة اما ارادة السوء بالمحكى عنه او اظهار
الحب للمحكى له او التفرج بالحديث والخوض فى الفضول وكل
من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا او فعل
فيك كذا وهو يدبر فى فساد امرك او فى ممالاة عدوك او فى
تقبيح حالك او ما يجرى مجراه فعليه ستة امور الاول ان
لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال تعالى
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة والثانى
ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال تعالى وأمر
بالمعروف وانه عن المنكر الثالث ان يبغضه فى الله فانه بغيض
عند الله ويجب بغض من يبغضه الله الرابع ان لا تظن باخيك
الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن الخامس

ان لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق لقوله تعالى
ولا تجسسوا السادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام
عنه فلا تحكى نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون
به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت ما عنه نهيت وقد روى
عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل
شيئا فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا
فانت من اهل هذه الاية ان جاءكم فاسق بنبا وان كنت فانت
من اهل هذه الاية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك
فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا وذكر ان
حكيما من الحكما زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره
فقال له الحكيم قد ابطات في الزيارة واتيتني بثلث جنايات
بغضت الى اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامين
وروي ان الخليفة سليمن بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري
فجاءه رجل فقال له سليمن بلغني انك وقعت في كذا وكذا فقال
الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمن الذي اخبرني كان صادقا
فقال الزهري النمام لا يكون صادقا قال سليمن صدقت اذهب
بسلامة وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة

الى النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض
وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة
والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة
وهو ممن سعى في قطع ما امر الله به ان يوصل قال تعالى
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال
تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض
بغير الحق والنمام منهم وقال عليه السلام ان من شر
الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل
الجنة قاطع قيل قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع
الرحم وروي عن علي ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال
يا هذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت
كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك قال اقلني يا
امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المؤمن اوضع
له قال كثرة الكلام وافشا السر وقبول كل احد وقال
رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير
اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك
حتى اظهر كذبه عندك قال ما احببت ان اشتم نفسي بلساني وحسبي

انى لم اصدقه فيما قال ولا قطعت عنك الوصال وذكرت
السعايه ايضا عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم
يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم وقال
مصعب بن الزبير نحن نرى قبول السعاية شرا من السعايه
لان السعايه دلاله والقبول اجازه وليس من دل على شى
فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعى فلو كان فى قوله
صادقا لكان فى صدقه لئيما حيث لم يحفظ الحرمه ولم
يستر العوره والسعايه هى النميمة الا انها اذا كان
الى من يخاف جانبه سمى سعايه وقد قال عليه السلام
الساعى بالناس الى الناس لغير رشده يعنى ليس ولد الحلال
ودخل رجل على سليمن بن عبد الملك فاستاذن فى الكلام
وقال انى مكلمك يا امير المومنين بكلام فاحتمله وان كرهته
فان وراءه ما تحب ان قبلته قال قل فقال يا امير المومنين انه
قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك باخرتهم ورضاك بسخط
ربهم خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك فلا تامنهم على ما
ائتمنك الله عليه ولا تصخ اليهم فيما استحفظك الله اياه
فانهم لن يالوا الامة خسفا والامانه تضييعا والاعراض قطعا

وانتهاكا اعلا قربهم البغى والنميمه واجل وسائلهم الغيبه
والوقيعة وانت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسئولين
عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم
الناس غبنا بايع اخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد بن الاعجم
الى سليمن بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقه فاقبل زياد على
الرجل يقول

انت امرؤ اما ائتمنتك خاليا فخنت واما قلت قولا بلا علم
فانت من الامر الذى كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم

وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسوارى لا يزال يذكرك فى قصصه
بشر فقال له عمرو ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت
الينا حديثه ولا اديت حقى حين اعلمتنى عن اخى ولكن اعلمه ان الموت
يعمنا والقيامة تضمنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين
ورفع بعض السعاه الى الصاحب بن عباد رقعه نبه فيها على
مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب على ظهرها السعايه قبيحه
وان كانت صحيحه والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال
ثمره الله والساعى لعنه الله وقال لقمن الحكيم لابنه يا بنى انى
اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك

للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ
اخوانك وصل اقاربك وامنهم من قبول ساع او سماع باغ يريد
فسادك ويروم خداعك وليكن اخدانك من اذا فارقتهم
وفارقوك لم تغبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة
مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال
بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجتري بالشتم
عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لا يقابلك بشتمك وعلى
الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع
رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت
فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك
وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند
نومه شعرات حتى اسحر عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امراتك
اخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت
المراة بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها وجاء اهل المراة
فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر ٥

الآفة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين
ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقل ما يخلو عنه من يشاهد
متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا
كان له لسانان من النار يوم القيمة وقال ابو هريرة
قال رسول الله تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا
الوجهين الذي ياتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء
وفي لفظ اخر ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة
لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله وقال مالك
ابن دينار قرات في التوراة تطلب الامانة والرجل مع صاحبه
بشفتين مختلفتين وقال رسول الله ابغض خليقة الله اليه
يوم القيمة الكذابون المستكبرون والذين يكثرون البغضاء
لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تحلقوا لهم والذين اذا دعوا
الى الله والى رسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان
وامره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا
وما الامعة قال يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين
بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد
روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات
فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ولا نصلي عليه فقال يا أمير المؤمنين
انه منهم فقال نشدتك الله انا منهم ام لا فقال اللهم لا ولا
اومن منها احدا بعدك فان قلت فبماذا يصير ذا اللسانين
وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل
واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا اللسانين
فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة
لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة
الاعدا كما ذكرناه في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل
كلام كل واحد الى الآخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة
اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط وان لم ينقل
كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة
مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما
بانه ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته
وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو
ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين
ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه وقيل لابن عمر
انا ندخل على امرائنا فنقول القول واذا خرجنا قلنا غيره

قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء
عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو
نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول لو
قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى
فهو منافق وهذا معنى قوله عليه السلام حب المال والجاه ينبتان
النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامرا ومراعا
ومراآتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان
اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا
لتبغضهم وقالت عايشة استاذن رجل على رسول الله فقال ائذنوا
له بئس رجل العشيرة فلما دخل عليه الان له القول فلما خرج
قالت عايشة قد قلت بئس رجل العشيرة ثم النت له القول فقال
يا عايشة ان شر الناس من يكرم اتقاء لشره ولكن ورد هذا في
الاقبال والكشر والتبسم فاما الثنا فهو كذب صريح فلا يجوز الا
بضرورة او اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرنا في آفة الكذب بل لا
يجوز الثنا ولا التصديق وتحريك الراس في معرض التقرير على كل كلام
باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فيسكت

بلسانه وينكر بقلبه **الافة الثامنة عشرة المدح** وهو منهي
عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد
ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست افات اربع في المادح واثنان
في الممدوح فاما المادح فهو انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال
خلد بن معدان من مدح اماما او واحدا بما ليس فيه على رووس
الاشهاد بعثه الله يوم القيمة يتعثر بلسانه الثانية انه
قد يدخله الريا فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له
ولا معتقد الجميع ما يقوله فيصير به مرايا منافقا الثالثة
انه يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي
ان رجلا مدح رجلا عند النبي عليه السلام فقال عليه السلام
قطعت عنق اخيك ثم قال ان كان لا بد لاحدكم مادحا اخاه
فليقل احسب ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان
يرى انه كذلك وهذه الافة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة
التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير وما يجري
مجراه اما اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور
مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضي فان ذلك خفي فلا
ينبغي ان يجزم القول فيه الا بعد خبرة باطنه سمع عمر رجلا يثني

على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته قال لا
قال والله الذي لا اله الا هو لم تعرفه الرابع انه قد يفرح
الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جايز قال رسول الله
ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم
بالبقا فقد احب ان يعصى الله فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم
ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما
انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن كان عمر
قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال
رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود
فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي وما لك يا امير المومنين
قال ما لي وما لك اما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت
ان يخالط قلبك منها شي فاحببت ان اطاطي منك الثانية انه
اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي من نفسه ومن اعجب بنفسه
قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا اطلقت الا
لسنة
بالثنا عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال عليه السلم قطعت
عنق صاحبك لو سمعه ما افلح وقال عليه السلام اذا مدحت
اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال ايضا

لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت
ثنا او مدحة الا تصاغرت الى نفسي وقال زياد بن ابي مسلم
ليس احد يسمع ثنا عليه او مدحة الا تراءى له شيطان ولكن
المؤمن يراجع قال ابن المبارك لقد صدق كلاهما اما
ما ذكر زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكر مطرف فذلك
قلب الخواص وقال عليه السلام لو مشى رجل الى رجل بسكين
كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه
المدح الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح
يوجب الفتور او لان المدح يورث الكبر والعجب وهو مهلك
كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح من هذه الافات في حق
المادح والممدوح لم يكن به باس بل كان مندوبا اليه ولذلك
اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو
وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر لو لم ابعث لبعثت
يا عمر واي ثنا يزيد على هذا ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا
اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل
نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر وقال عليه السلام انا سيد
ولد ادم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصد الناس بالثنا

على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبقربه من الله لا
بولد ادم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما
انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه
وبتفصيل هذه الافات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين
الحث عليه اذ قال عليه السلام وجبت لما اثنوا على بعض
الموتى وقال مجاهد ان لبني ادم جلساء من الملائكة فاذا ذكر اخاه
المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثل واذا ذكره بسوء قالت الملائكة
يا ابن ادم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله اذ
ستر عورتك فهذه افات المدح **بيان ما على الممدوح** اعلم
ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن افة الكبر والعجب
وافة الفتور ولا ينجو عنه الا بان يعرف نفسه ويتامل في خطر
الاخرة والخاتمة ودقائق الريا وافات الاعمال وانه من نفسه
ما لا يعرفه المادح منه ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري
على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح
باذلال المادح واليه الاشارة بقوله عليه السلام احثوا
التراب في وجوه المادحين وقال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من
عرف نفسه واثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء

لا يعرفوني وانت تعرفني وقال آخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك
هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي
رضي الله عنه لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني
بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر فقال
اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على علي في وجهه وكان قد
بلغه انه يقع فيه فقال علي انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك

الآفة التاسعة عشرة في الغفلة عن دقائق الخطا في فحوى
الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا
تقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في
علم او فصاحة لم تخل كلامه عن الزلل لكن الله يعفو عنه لجهله
مثاله ما قال حذيفة قال النبي عليه السلام لا يقل احدكم
ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان
في العطف المطلق تشريك وتسوية وهو على خلاف الاحترام
وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال النبي عليه
السلام اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله

فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله
فقد غوى فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان
ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول
اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا
الله وفلان وكره بعضهم ان يقول اعتقنا من النار ويقول العتق
بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار
وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد قال حذيفة
ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد ويكون شفاعته للمذنبين
من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا
خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتني خلقته خنزيرا رأيتني
خلقته وعن ابن عباس ان احدكم ليشرك بكلبه لولاه لسرقنا الليلة
وقال عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم
ان تحلفوا بآبائكم قال عمر والله ما حلفت بها منذ سمعت
وقال عليه السلام لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل
المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقولن احدكم عبدي امتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله
ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي

ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي فكلكم عبيد والرب الله وقال
عليه السلام لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم
فقد اسخطتم ربكم وقال رسول الله من قال انا بريء من الاسلام
فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلم يرجع الى
الاسلام صادقا فهذا واشباهه لا يدخل في الكلام ولا يمكن
حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا
اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قول الله من صمت نجا
لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم
فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه
لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل في
الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك
عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت
فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين **الآفة العشرون** سؤال
العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها
قديمة او حادثة وحقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا ان
ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي
يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء

رسول صح

واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك بما هو كفر وهو لا
يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهو اسلم له من ان يتكلم
في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وبصفاته وانما شان العوام
الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم
لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة
سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله ويتعرضون لخطر
الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب
للعقوبة وكل من سال عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة
فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال عليه
السلام ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة
سؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما
امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وقال انس سال الناس رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه
فصعد المنبر وقال سلوني فلا تسالوني عن شيء الا انباتكم
به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي قال ابوك
حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا قال
ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله

اني الجنة انا ام في النار فقال لا بل في النار فلما راى الناس
غضب رسول الله امسكوا فقام اليه عمر فقال رضينا بالله
ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فقال اجلس رحمك الله انك ما
علمت لموفق وفي الحديث نهى رسول الله عن القيل والقال وكثرة
السؤال واضاعة المال وقال عليه السلام يوشك الناس
يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا
قالوا ذلك فقولوا الله احد حتى يختموا السورة ثم ليتفل عن يساره
ثلثا وليستعذ بالله من الشيطان وقال جابر ما نزلت اية التلاعن
الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر تنبيه على المنع من
السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسالني
عن شي حتى احدث لك منه ذكرا فلما سال عن السفينة انكر عليه
حتى اعتذر وقال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري
عسرا فلما لم يصبر حتى سال ثلثا قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه
فسؤال العوام عن غوامض الدين من اعظم الافات وهي من المثيرات
للفتن فيجب زجرهم ومنعهم وخوضهم في حروف القران يضاهي اشتغال
من كتب اليه الملك كتابا رسم له فيه امورا فلم يشتغل بشي منه وضيع
زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق او حديث فاستحق العقوبة لا محالة

وكذا يضيع العامي حدود القران واشتغاله بحروفه انها قديمة
او حادثة وكذا ساير صفات الله تعالى

تم كتاب افات اللسان بعون الله وحسن توفيقه
ويليه كتاب افة الغضب والحقد
والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات
من كتب احيا علوم الدين للغزالي رضي الله عنه

كتاب افة الغضب والحقد والحسد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا يتكل
الا على عفوه ورحمته الراجون ولا يحذر سوء غضبه وسطوته
الخايفون الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط
عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب
وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى
لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما
يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شي مما يسرون ويعلنون
وحذرهم ان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال ما ينظرون الا
صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية
ولا الى اهلهم يرجعون والصلاة على محمد رسوله الذي يسير تحت

لوايه النبيون وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين والسادة المرضيين
صلاة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون ويحظى
ببركتها الأولون والآخرون أما بعد فإن الغضب شعلة نار
اقتبست من نار الله الموقدة إلا أنها لا تطلع على الأفئدة وإنها
لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها
الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد
وقد انكشف للناظرين بنور اليقين أن الإنسان ينزع منه عرق
إلى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه
قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فإن
شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظي والاشتعال
والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك
من هلك وفسد من فسد ومغيضهما مضغة إذا صلحت صلح لها سائر
الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد إلى مواطن
العطب فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساويه ليحذرها ويتقيه
ويميطه عن القلب إن كان وينفيه ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه
فإن من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف
الطريق الذي يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات

الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان
حقيقة الغضب ثم بيان الغضب هل يمكن إزالته بالرياضة أم لا
ثم بيان الأسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجا
ه
ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر
الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد
ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي
حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته ثم بيان
السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني العم
والأقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي
به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد
عن القلب

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى إذ جعل الذين كفروا
في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصا
در
عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنعم عليهم من السكينة وروى
أبو هريرة أن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم
أعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله قل لي قولا
وأقلل لعلي أعقله فقال لا تغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع

الى لا تغضب وعن عبد الله بن عمر انه سأل رسول الله ماذا يبعدني
من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي عليه السلام
ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذلك
ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة قال النبي
عليه السلام ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك
نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمن بن داود يا
بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب يستخف فؤاد الرجل الحليم
وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه
الغضب وقال ابو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل
يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليه السلام لا تغضب
قال لا استطيع الا اغضب انما انا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا
عسى وقال عليه السلام الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر
العسل وقال عليه السلام ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال
رجل اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله قال
لا تغضب **الآثار** قال الحسن يا ابن ادم كلما غضبت وثبت
يوشك ان تثب وثبة تقع في النار وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من

الملائكة فقال علمني علما ازدد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب
فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن ادم حين يغضب فرد الغضب
بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطات
حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا
وعن وهب بن منبه ان راهبا كان في صومعة فاراد الشيطان ان
يضله فلم يستطع فجاء حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه فقال
افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح فقال
الراهب وان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالعبادة
والاجتهاد ووعدتنا القيمة فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم نقبل
منك قال فقال انه الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطع
فجئتك لتسألني عما شئت فاخبرك قال ما اريد ان اسألك عن شيء قال
فولى هاربا مدبرا فقال الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق
بني ادم اعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه
كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول وكيف يغلبني
ابن ادم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في
رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار
رأس الحمق وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم الحلم

زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحمق
جوابه وقال مجاهد قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني
في ثلاث إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل
لنا بما أحببنا وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه
ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما أملك فلانا لنفسه قال إذن
لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم
إياك والغضب فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا
الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله
بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما
علمك بحلمه إذا لم يغضب وما علمك بأمانته إذا لم يطمع وكتب عمر بن
عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل
فاحبسه وإذا سكن غضبك فأخرجه وعاقبه على قدر ذنبه ولا
تجاوزه خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر
بن عبد العزيز فأطرق عمر طويلا ثم قال أردت أن يستفزني الشيطان
بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال بعضهم لابنه
يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير
المسجورة فأقل الناس غضبا أعقلهم فإن كان للدنيا كان دهاء ومكرا

وإن كان للآخرة كان علما وحلما وقد قيل الغضب عدو العقل
والغضب غول العقل وكان عمر إذا خطب قال في خطبته أفلح
منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب وقال بعضهم من أطاع
غضبه وشهوته قاداه إلى النار وقال الحسن من علامات المسلم
قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق
وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة وإحسان في قدرة
وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا يجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة
ولا يفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته فينصر المظلوم
ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر إذا
ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل
لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب
وقال نبي من الأنبياء لمن معه من يتكفل لي أن لا يغضب فيكون معي في درجتي
ويكون بعدي خليفتي فقال شاب أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا
ووفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل لأنه تكفل الغضب
ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر أربعة أركان الغضب والشهوة
والخرق والطمع **بيان حقيقة الغضب** اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان
معرضا للفساد والموتان بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة منه

انعم عليه بما يحميه الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم
سماه في كتابه اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الحرارة والرطوبة
وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل
الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تفشي اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو
لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذا يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها
لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في
الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذا كالموكل به في جبر ما انكسر
وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما
الاسباب الخارجة التي تتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان
وساير المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه
فتدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزها في الانسان
وعجنها بطينته فمهما قصد في غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده
اشتعل نار الغضب وثار ثورانا تغلي به دم القلب وينتشر في العروق
ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في
القدر فكذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها
تحكي ما وراها كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا
غضب على من دونه فاستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب ممن فوقه

وكان معه ياس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد
الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير
يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر
ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان
دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع
الموذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام
قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم الناس
في هذه القوة على درجات ثلاث في اول الفطرة من التفريط والافراط
والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم
وهو الذي يقال فيه لا حمية له ولذلك قال الشافعي من استغضب
فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا فهو ناقص جدا
وقد وصف الله تعالى الصحابة بالشدة والحمية فقال تعالى اشداء
على الكفار وقال الله تعالى للنبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وانما الغلظة والشدة من اثار قوة الحمية وهو الغضب ٥ واما
الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين
وطاعته ولا يبقى للمرء معه بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة
المضطر وتسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو

بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حين كان تصورته في الفطرة صورة
غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما
قال رسول الله فبرودة المزاج تطفيه وتكسر سورته واما الاسباب
الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب
ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر
على المحال ولا احتمل من احد ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكر في معرض
الفخر بجهله فمن سمعه يترسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم
فيقوى به الغضب ومهما اشتد نار الغضب وقوي اضطرامها اعمى صاحبه
واصمه عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده غضبا وان استضا
بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفي نور العقل وينمحي في الحال
بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من
غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر
وربما يتعدى الى معادن الحس فيظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه
الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه
واحمى مستقره وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفا
او انمحى نوره فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا
يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق

جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما
تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه
غيظا كما تقوى النار في الكهف فيتشقق وينهد اعاليه على اسافله وذلك
لابطال النار ما في جوانبها من القوة الممسكة الجامعة لاجزائها فهكذا
حال القلب مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند
اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة
غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها
واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه
الغضب واصمه ومن اثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة
الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب
الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب
المناخر وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان نفسه في حال الغضب وقبح
صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه
اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة
الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير
الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان
فانطلاقه بالشتم والفحش وقبائح الكلام الذي يستحيي منه ذوو

العقول ويستحي منه قايله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط
النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضا فالضرب والتهجم
والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه
المغضوب عليه او فاته بسببه وعجز عن التشفي رجع الغضب على
صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب يده على الارض
ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما سقط صريعا لا
يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشيه وربما
يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض وقد يكسر
المايدة اذا غضب عليها وقد يتعاطا افعال المجانين فيشتم البهيمة
والحمار ويخاطبه ويقول الى متى منك يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا
حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها به واما اثره في القلب
مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واظهار السوء والشماتة بالمساات
والحزن بالسرور والعزم على افشا السر وهتك الستر والاستهزاء
وغير ذلك من القبايح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية
الضعيفة فقلة الانفة مما يانف منه من التعرض للحرم والزوجة والام
واحتمال الذل من الاخسا وصغر النفس والقماه وهو ايضا مذموم اذ
من ثمراته فقد الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال عليه السلام ان سعدا

لغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ
الانساب ولو تسامح الناس به لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل
امة وضعت الغيرة في رجالها ووضعت الصيانة في نسايها ومن ضعف
الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله
عليه وسلم خير امتي احداوها يعني في الدين وقال تعالى ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ تتم
الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند
الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود
غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفي
حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف
الله تعالى بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله حيث
قال خير الامور اوسطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه
بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله
فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط
حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص
سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين وهو الصراط
المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب

القرب منه قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو
حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز
عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون
من بعض وبعض الخيرات ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته

بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا اعلم
انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة
تتوجه واياه تقصد وظن اخرون انه اصلا لا يقبل العلاج وهو راي
من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الراين
ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيئا
ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شي ويخالفه
شي اخر فلا بد وان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع
ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه
غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة اقسام الاول
ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة
البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان يغضب وكذلك
اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي
هي مسكنه او اريق ماوه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو

الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها القسم
الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير
والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة
والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما
فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا
الجنس مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كانت له
دار زايدة على مسكنه فيهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون
بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها
فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب على الضرورة باخذها
واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر
في المجالس والمباهات بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا
جلس غيره فوقه وهذه بالعادات الرديه هي التي اكثرت محاب الانسان
ومكارهه فاكثر غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر
كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت
كثر النقص والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته
وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض
الجهال بالعادات الرديه ومخالطة قرنا السو الى ان يغضب لو

قيل له لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب
الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل
فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري القسم
الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب
مثلا للعالم فإنه مضطر إليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه
وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل
إلى القوت إلا بها فإن ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا
ومحبوبا وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من أصبح آمنا في سربه معافى في
بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان
بصيرا بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلث يتصور أن لا يغضب في
غيرها فهذه ثلثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها
أما القسم الأول فليست الرياضة فيها لينعدم غيظ القلب ولكن
لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد
يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف
الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قمع
أصل الغيظ من القلب فذلك مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن

كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي
ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا
وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص
فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع
العمل به وتضعيف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر
عليه وأما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك
عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم
الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وإنما الدنيا معبر
يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال
في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبه عن القلب ولو كان
للإنسان كلب لا يحبه لم يغضب إذا ضربه غيره فالغضب تبع الحب
فالرياضة في هذا قد تنتهي إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا
وقد تنتهي إلى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون
فإن قلت الضروري من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون
الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على أحد وإن كان
لا يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فإن الإنسان
يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه

التوحيد حتى يرى الاشيا كلها من الله فلا يغضب على احد من
خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب
ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من
يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح
من الله فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن
بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان له لا يقدر له الا ما فيه الخيرة
فيه فنقول هذا على الوجه الاول غير محال ولكن غلبه التوحيد
الى هذا الحد انما يكون كالبرق الخاطف يغلب في احوال مختطفة ولا يدوم
ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسايط رجوعا طبيعيا لا يندفع
عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله فانه كان
يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم انا بشر اغضب كما يغضب البشر
فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلاه وزكاة
وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا
رسول الله اكتب منك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال اكتب
فو الذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق واشار الى لسانه فلم يقل اني
لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب
وغضبت عايشة مرة فقال النبي عليه السلام ما لك جاءك شيطانك

وربما المريض الذي في [illegible] وجرحه وقتله
فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد [illegible]

فقالت وما لك شيطان فقال بلى ولكن دعوت الله فاعانني
عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير فلم يقل لا شيطان لي واراد
شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي كان عليه السلم
لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شي
حتى ينتصر له وكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات
الى الوسايط على الجملة بل كل من غضب على من ياخذ ضرورة قوته
وحاجته التي لا بد له منه في دينه فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك
عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا
بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان
فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا
كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان
ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الاخرة فلم
يتاثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خيثم فقال يا هذا قد سمع
الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول
وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل ابا بكر رضي الله عنه
فقال ما ستر الله عنك اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر في تقصير
نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة

غيره الى نقصان اذا كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك
لجلالة قدره وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما
عرفني غيرك وكانه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الرياء
ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه
وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت
كاذبا فغفر الله لك وهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم
يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون قد اثر
في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما هو الاغلب على
قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان
الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا يتصور فقد الغيظ اما
باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو
ان يعلم ان الله يحب ان لا يغتاظ فيطفي شدة حبه لله غيظه
وذلك غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان الطريق
الخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة
آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب حب الدنيا ومن اخرج
حب المرايا عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغيظ وما لا يمكن محوه
فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه

بيان الاسباب المهيجة للغضب قد عرفت ان علاج كل علة
بحسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسبابها وقد
قال يحيى لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال غضب الله قال
فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما
ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب
المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والتعيير والمما راة
والمضارة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي
باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع
بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها
فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بالمعرفة بنفسك كما
سيأتي في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك
اذ الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد وانما اختلفوا بالفضل
اشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر
والعجب اكبر الرذائل وهي رأسها واصلها فاذا لم تخل عنها فلا
فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية
والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزاح فتزيله بالتشا غل
بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفته

واما الهزل فمزيله بالجد في طلب الفضايل والاخلاق الحسنة
والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الاخرة واما الهزء
فمزيله بالتكرم عن ايذا الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزا
بك واما التعيير فالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر
الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فمزيلها القناعة بقدر
الضرورة طلبا لعز الاستغنا وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق
من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات تفتقر في علاجها
الى رياضة والى تحمل مشقة وحاصل رياضتها ترجع الى معرفة غوايلها
لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها
مدة مديدة حتى يصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا
انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذايل وتخلصت
ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث للغضب عند اكثر
الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة
وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه
وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب من الاكابر
في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مايلة الى التشبه بالاكابر فيهيج
الغضب في القلب بسببه وتسميته هذا عزة نفس وشجاعة جهل

بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية
انه لضعف النفس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمراة اسرع
غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا من الكبير والشيخ الضعيف اسرع
غضبا من الكهل وذو الخلق السيى والرذايل القبيحة اسرع غضبا
من صاحب الفضايل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة والبخيل
اذا فاتته الحبة حتى يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوي من
يملك نفسه عند الغضب كما قال عليه السلام ليس الشديد
بالصرعة وانما الشديد من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان
يعالج هذا الجاهل بان يتلى عليه حكايات اهل العلم والعفو وما
استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء
والاوليا والعلما واكابر الملوك والفضلا وضد ذلك منقول
عن الاتراك والاكراد والجهلة من الاغنيا الذين لا عقل لهم ولا
فضل **بيان** علاج الغضب ما ذكرناه حسم لمواد الغضب وقطع
لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى
لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب
عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور الاول
ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو

والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب
الكظم عن التشفي والانتقام ويطفي غيظه قال مالك بن اوس
ابن الحدثان غضب عمر على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المومنين
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول
خذ العفو وامر بالعرف وكان يتامل الايه وكان وقافا على كتاب
الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وامر
عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرا قوله تعالى والكاظمين الغيظ
وقال للغلام خل عنه الثاني ان يخوف نفسه بعقاب الله
وهو ان يقول قدرة الله على اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو
امضيت غضبي عليه فما امن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيامة
احوج ما اكون الى العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب اذكرني

ابن ادهم

حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى خديجة فابطا عليه فلما جا قال
لولا القصاص لاوجعتك اي القصاص في القيمة وقيل ما كان في
بني اسرايل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة وفيها ارحم
المسكين واخش الموت واذكر الاخره وكان يقروها حتى يسكن غضبه
الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام ويشمر العدو

لمقاتلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو
عن المصايب يخوف نفسه لعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا
يخاف من الاخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس
هذا من اعمال الاخره ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه
العاجله فيقدم بعضها على بعض الا ان يكون محذوره ان يشوش عليه
في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الاخره فيكون مثابا
عليه الرابع ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة
غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة
صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي
التارك الغضب للانبيا والعلما والحكما ويخير نفسه بين ان يتشبه
بالكلاب والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالانبيا والعلما
في عادتهم ليميل الى حب الاقتدا بهم ولان كان قد بقي معه
مسكة من عقل الخامس ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى
الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وان يكون له سبب مثل
قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة
والمهانة وتصير حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك
تانفين من الاحتمال الان ولا تانفين من خزي يوم القيمة والافتضا

ح

اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغرين في اعين الناس

ولا تحذرين من ان تصغرين عند الله وعند الملايكة والنبيين فمهما

كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم

القيمة اشد من ذله لو انتقم الان افلا تحب ان تكون هو القايم اذا

نودي يوم القيمة ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا

واشباله من معارف الايمان ينبغي ان يقرر على قلبه السادس

ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشي على وفق ارادة الله لا على

وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله ويوشك ان يكون

غضب الله عليه اعظم من غضبه **واما العمل** فان تقول بلسانك

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هذا امر رسول الله ان يقال عند الغيظ

وكان عليه السلام اذا غضبت عايشة اخذ بانفها وقال يا عويشه

قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من

مضلات الفتن فيستحب ان يقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس

ان كنت قايما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها

خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس الاضطجاع السكون

فان سبب الغضب الحراره وسبب الحراره الحركه وقد قال عليه السلام

ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة

وذلك لخطر عند الله

عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيا فان كان قايما فليجلس

وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فتوضا بالما البارد واغتسل

فان النار لا يطفيها الا الما فقد قال عليه السلام اذا غضب احدكم

فليتوضا بالما فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من

الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفا النار بالما

فاذا غضب احدكم فليتوضا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريره كان رسول

الله اذا غضب وهو قايم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع

فيذهب غضبه وقال ابو سعيد الخدري قال النبي عليه السلام

الا ان الغضب في قلب ابن ادم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ

اوداجه فمن وجد من ذلك شيا فليلصق خده بالارض وكان هذا

اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضا من اعظم المواضع وهو التراب

لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب

الغضب وروي ان عمر غضب يوما فدعا بما فاستنشق وقال ان

الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد

لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت

فانظر الى السما فوقك والى الارض تحتك ثم اعظم خالقهما وروي

ان اباذر قال لرجل يا ابن الحمرا في خصومة بينهما فبلغ ذلك
رسول الله فقال يا اباذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا
بامه فقال بلى فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل
فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله فقال يا اباذر ارفع راسك
فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان
تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قايما فاقعد وان
كنت قاعدا فاتك وان كنت مضطجعا متكيا فاضطجع وقال
المعتمر بن سليمن كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه
فكتب ثلث صحايف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول
اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي
فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه
فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت
وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر اوشك ان ياكل
بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطي الثانية فاذا فيها
ارحم من في الارض يرحمك من في السما فاعطي الثالثة فاذا فيها
خذ الناس بحق الله فانهم لا يصلحهم الا ذاك اي لا تعطل الحدود
وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضبن لله باشد من غضبه

لنفسه فقال خلوا سبيله **فضيلة كظم الغيظ** قال تعالى
والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن
اعتذر الى ربه قبل عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال
عليه السلام اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم
من عفا عند القدرة وقال رسول الله من كظم غيظا ولو شاء ان
يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيمة رضى وفي رواية ملأ
الله قلبه امنا وايمانا وقال ابن عمر قال رسول الله ما جرع
عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغا وجه الله
وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم
بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله وقال عليه السلام
ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما
كظمها عبد الا ملأ الله جوفه ايمانا وقال عليه السلام من كظم
غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلايق
يخيره اي الحور شاء **الاثار** قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم
يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان
غير ما ترون وقال لقمن لابنه يا بني لا يذهب ماء وجهك بالمسئلة

ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك ينفعك معيشتك
وقال ايوب حلم ساعة تدفع شرا كثيرا واجتمع سفين الثوري
وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد
فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند
الطمع وقال رجل لعمر ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل
فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال له رجل يا امير المومنين الم
تسمع ان الله يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت وكانما كانت نارا فاطفيت
وقال محمد بن كعب ثلث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي
لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا
قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال يا عبد الله
اوصني قال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك
ويدك **فضيلة الحلم** اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ
لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج
الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة
ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ
وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة

كمال العقل واستيلايه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل
ولكن ابتداوه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر
الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب
الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا
العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن
يتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلما فيغلب جهلكم علمكم
اشار بهذا الى التجبر والتكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من
الحلم واللين وكان من دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم وكرمني بالتقوى وجملني بالعافية
وقال ابو هريرة قال عليه السلام ابتغوا الرفعة عند الله
قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتحلم عمن جهل عليك وقال عليه السلام خمس من سنن المرسلين
الحيا والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال عليه السلام
ان الرجل ليدرك بالحلم درجة الصايم القايم وانه لمكتب جبارا
وما له الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول

الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي
ويجهلون علي واحلم عنهم قال لئن كان كما تقول فكانما تسفهم
المل ولا يزال معك من الله ظهير لما دمت على ذلك المل يعني الرمل
وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما
رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله الى النبي
ان قد غفر له وقال عليه السلام ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم
قالوا وما ابو ضمضم قال رجل فيكم اذا اصبح قال اللهم اني
اتصدق اليوم بعرضي على من ظلمني وقيل في قوله ربانيين اي
حلما علما وعن الحسن في قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما كانوا حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطا بن ابي
رباح يمشون على الارض هونا اي حلما وقال ابن ابي حبيب في
قوله وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا
باللغو مروا كراما اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود
مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح ابن
مسعود وامسى كريما ثم تلا ابرهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله
تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي عليه السلام اللهم
لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من

ربيين صح

الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وقال
عليه السلام ليلني منكم اولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم
ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق
وروي انه وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم الاشج فاناخ
راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة
ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله فقال يا اشج ان فيك
خلتين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بابي انت وامي قال الحلم
والاناة فقال خلتان تخلقتهما او خلتان جبلت عليهما قال بل
خلتان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما
الله ورسوله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب
الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السايل الملحف
وقال ابن عباس ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدن بشي من
عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش
به في الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع
الخلايق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم
يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملايكة فيقولون

امانا لكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان
فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا
واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين
الاثار قال عمر تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم
وقال علي ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر
علمك ويعظم حلمك وان تباهي الناس بعبادة ربك واذا احسنت
حمدت الله واذا اسات استغفرت الله وقال الحسن اطلبوا
العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم دعامة العقل الحلم
وجماع الامر الصبر وقال ابو الدردا ادركت الناس ورقا لا
شوك فيه واصبحوا شوكا لا ورق فيه ان فقدتهم فقدوك وان
تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم
فقرك وقال علي ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم اعوانه
على الجاهل وقال معاوية لا يبلغ الرجل مبلغ الراي حتى يغلب حلمه
جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال
معوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه
قال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس
ابن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي

حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت
كاذبا غفر الله لك وان كنت صادقا يغفر الله لي وعن بعضهم قال
شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا
وسب رجل ابن عباس فقال يا عكرمه هل للرجل حاجة فنقضيها
فنكس الرجل راسه واستحيى وقال رجل لعمر بن عبد العزيز
اشهد انك من الفاسقين قال ليس تقبل شهادتك وعن علي بن
الحسين بن علي انه سبه رجل فرمى اليه بخميصة كانت عليه
وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم
واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده عن الله وحمله على
الندم والتوبة والرجوع الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك
بشيء من الدنيا يسير وقال معاوية لعرابة بن اوس بم سدت
قومك يا عرابة قال يا امير المومنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي
سايلهم واسعى في حوايجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو
افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر بن محمد
انه قد وقع بيني وبين قومي منازعة في امر واني اريد ان اتركه
فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم
وقال الخليل بن احمد كان يقال من اسا فاحسن اليه فقد جعل له حاجز

من قلبه عن مثل اشاته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم
لكني اتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم
ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطي ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا
يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن
يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يامن ومن يتولى الله يمنع
ومن لا يسئل الله يفتقر ومن لا يكن من الله يخذل ومن يستعن بالله
يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء قال
اذا انت اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت اليك حسناتي
وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل ان الله عز وجل تسمى به
وقال رجل لبعض الحكما والله لاشتمنك شتما يدخل
معك في قبرك قال معك يدخل لا معي ومر المسيح عليه السلام
بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم
يقولون شرا وانت تقول خيرا قال كل واحد ينفق مما عنده وقال
لقمن ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا
الشجاع الا عند الحرب ولا اخاك الا عند حاجتك اليه ودخل
على بعض الحكما صديق له فقدم اليه الطعام فخرجت امراة الحكيم
وهي سيئة الخلق فرفعت المايده واقبلت على شتم الحكيم فخرج

صوابه يعجل

الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال يتذكر يوما كنا في منزلك
نطعم فسقطت دجاجة على المايدة وافسدت ما عليها فلم
يغضب احد منا قال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة
فسري عن الرجل وانصرف فقال صدق الحكيم شفا من كل الم
وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك
فقال اقمته مقام حجر تعثرت به فاورثت الغضب وقال
محمود الوراق

سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان كثرت منه علي الجرائم
وما الناس الا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف قدره واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي دوني فان قال صنت عن اجابته عرضي وان لام لايم
واما الذي مثلي فان زل او هفا تفضلت ان الفضل بالخير حاكم

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام
اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز
مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقا بلة
السب بالسب وكذا ساير المعاصي وانما القصاص والغرامة على ما
ورد الشرع به على ما فصلناه في الفقه واما السب فلا يقابل

بمثله قال رسول الله ان امرؤ عيّرك بما فيك فلا تعيّره بما فيه وقال
المستبّان شيطانان يتهاتران وشتم رجل ابا بكر وهو ساكت
فلما ابتدا ينتصر منه قام رسول الله فقال انك كنت ساكتا لما
شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت
ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس الشيطان
وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه
لا يعصي والذي رخص فيه ان يقول من انت وهل انت الا من بني فلان
كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل فقال ابن
مسعود وهل انت الا ابن امية ومثل قوله يا احمق قال مطرف
كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حمقا من
بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى
في ذات الله وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد
اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق صفيق الوجه ثلاب
الاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حيا ما تكلمت
وما احقرك في عيني بما فعلت وخزاك الله وانتقم منك فاما النميمة
والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان

بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال
سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان يأثم بعضنا في بعض فلم
يسمع السوء فكيف يجوز ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب
ولا حرام كالنسبة الى الزنا والسب والفحش ما روت عائشة ان
ازواج النبي عليه السلام ارسلن الى فاطمة فجاءت فقالت يا
رسول الله ارسلني ازواجك يسألنك العدل في ابنة ابي
قحافة والنبي عليه السلام نائم فقال يا بنية اتحبين ما احب
قالت نعم قال فاحبي هذه فرجعت اليهن واخبرت بذلك فقلن
ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت
تساميني في الحب فجاءت وقالت بنت ابي بكر وبنت ابي بكر فما زالت
تذكرني وانا ساكتة انتظر ان ياذن لي رسول الله في الجواب فاذن لي
فسببتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا انها
ابنة ابي بكر يعني انك لا تقاوميها في الكلام قط وقولها سببتها ليس
المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق
وقال النبي صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي منهما
ما لم يعتد المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر
هو الذي اباحه هؤلاء ولكن الافضل تركه فانه يجر الى ما وراءه ولا يمكن

الانتصار على مقدار الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر
من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس
من لا يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم
من يكف في الابتدا ولكن يحقد في الدوام والناس في الغضب اربعة
فبعضهم كالحلفا سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطي
الخمود وبعضهم بطي الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته
الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطي الخمود وهذا
هو شرهم وفي الخبر المومن سريع الغضب سريع الرضى فهذه بتلك
قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم
يرض فهو شيطان وقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا ان بني ادم خلقوا على طبقات شتى منهم بطي الغضب
سريع الفي ومنهم سريع الغضب سريع الفي فتلك بتلك ومنهم سريع
الغضب بطي الفي الا وان خيرهم البطي الغضب السريع الفي وشرهم
السريع الغضب البطي الفي ولما كان الغضب البطي الفي يهيج ويوثر في
كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه
لانه ربما يتعدى الواجب ولانه يكون متشفيا غيظه ومريحا نفسه
فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه

بطي الوقود

راى عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان يحده ويعزره فشتمه
السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المومنين لما شتمك تركته
قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي فلم احب ان اضرب
مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا
انك اغضبتني لعاقبتك **القول في معنى الحقد ونتائجه** وفضيلة
العفو والرفق اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال
رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه
استثقاله والبغضة له والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى وقد
قال عليه السلام المومن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد
يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى
زوال النعمة عنه فيغتم بنعمة ان اصابها ويسر بمصيبة ان نزلت به
وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسياتي ذمه الثاني ان يزيد على
اضمار الحسد في الباطن ويشمت بما يصيبه من البلا الثالث ان
يهجره ويصارمه وينقطع عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع
وهو دونه ان يعرض عنه استصغارا له الخامس ان يتكلم فيه
بما لا يحل من كذب وغيبة وافشا سر وهتك ستر وغيره السادس
ان يحاكيه استهزا به وسخرية منه السابع ايذاوه بالضرب وما يولم بدنه

الثامن ان يمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل
ذلك حرام واقل درجات الحقد ان يحترز من الآفات الثمانية المذكورة
ولا يخرج بسبب الحقد الى ما يعصي الله به ولكن يستثقله بالباطن
ولا ينتهي قلبك عن بغضه حتى يمنع عما كنت تتطوع به من البشاشة
والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله
والمعاونة على المنفعة له او بترك الدعا له والثنا عليه او التحريض
على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول
بينك وبينه فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب الله
ولما حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه ولكن تكلم في واقعة
الافك نزل قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم الى قوله الا تحبون
ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر احب ذلك وعاد الى الانفاق عليه والاولى
ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وار
غاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهي من فضايل اعمال
المقربين فللمحقود ثلاثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه
الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل والثاني ان
يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث ان يظلمه بما لا
يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار

الصديقين والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الآن
فضيلة العفو والاحسان **فضيلة العفو** اعلم ان العفو
ان يستحق حقا فيسقطه ويبرأ عنه من قصاص او غرامة وهو غير
الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه وقد قال تعالى خذ العفو
الآية وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلث والذي نفسي بيده لو كنت حلافا لحلفت
عليهن ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة
يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيمة ولا فتح رجل
باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وقال عليه السلام التوا
لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد
العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا
كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عايشة ما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك
من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شي كان اشدهم في ذلك
غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما وقال
عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته
فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك

ضع

بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال رسول الله قال موسى يارب
اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا ولذلك سئل ابو
الدرداء من اعز الناس فقال الذي يعفو اذا قدر فاعفو يعزكم الله
وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فامره النبي
ان يجلس واراد ان ياخذ مظلمته فقال رسول الله ان المظلومين
هم المفلحون يوم القيمة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث
وقالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا
على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا بعث الله الخلايق يوم القيمة نادى مناد من تحت
العرش ثلث اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم
فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الى الكعبة
فاخذ بعضادتي الباب فقال وما تقولون وما تظنون قالوا
نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال عليه السلام
اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في

الاسلام وعن سهل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة وضع يديه على بابي الكعبة والناس حوله
فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون
قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
وقد قدرت فقال رسول الله اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب
عليكم اليوم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
اوقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل
من ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا
الفا فدخلوها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يوتى بحد الا اقامه والله عفو
يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا الاية وقال جابر قال رسول
الله ثلث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء
وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرا في دبر كل
صلاة قل هو الله احد عشر مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر
واحدهن يا رسول الله قال واحدهن الاثار قال ابرهيم التيمي
ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل

قلبه بتعرضه لمعصية الله بالظلم وانه يطالب يوم القيمة فلا
يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبدا قيض
له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه
رجلا ظلمه ويقع فيه فقال عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك كما
هي خير لك من ان تلقاه وقد انتقصتها وقال يزيد بن ميسرة ان
ظللت تدعو على من ظلمك فان الله يقول ان اخر يدعو عليك انك
ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئت اخرتكما
الى يوم القيمة فيسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على
ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعايك عليه الا ان
يتداركه الله بعمل وقمن ان لا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر انه قال
بلغنا ان الله عز وجل يامر مناديا يوم القيمة فينادي من كان له
عند الله شي فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم
عن الناس وقال هشام بن محمد اتى النعمن بن المنذر برجلين احدهما
قد اذنب ذنبا عظيما فعفا عنه والاخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه
وقال تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها ولقد تعاقب في
اليسير وليس ذاك لجهلها الا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها
وعن المبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من

اهل البصرة الى ابي جعفر فكنت عنده اذ اتي برجل فامر بقتله
فقلت يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المومنين
الا احدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته
يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله الناس في صعيد واحد
حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد ينادي من له عند الله
يد فليقم فلا يقوم الا من عفا قال والله لسمعته من الحسن فقلت
والله لسمعته منه فقال خليا عنه وقال معوية عليكم
بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح
والافضال وروي ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال
للراهب ارايت ذا القرنين قال لا ولكنه انما اعطي ما اعطي باربع
خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا حدث
صدق ولا يجمع اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى
اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا وقال زياد
القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل
بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال هشام
وتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المومنين قال الله عز وجل يوم تاتي
كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله ولا نتكلم انت كلاما قال هشام

بل ويحك تكلم وروي ان سارقا دخل على خباء عمار بن ياسر بصفين
فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله
ان يستر علي يوم القيمة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا
فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال
لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون عليه اللهم اقطع يد السارق
الذي اخذها فقال عبد الله ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك
له فيها وان حمله جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه وقال الفضيل
ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام
ثم قام ليطوف فسرقت دنانير معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير
تبكي قال لا ولكن مثلي واياه بين يدي الله تعالى فاشرف عقلي على اد
حاض حجته فبكاي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم
ابن ايوب وهو على البصرة ليلا وجا الحسن وهو خائف فدخلنا
عليه مع الحسن فما كنا معه الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن
قصة يوسف وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في
الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد
النسا ومن الحبس ثم قال يا ايها الامير ماذا صنع الله به اداله منهم
ورفع ذكره واعلا كعبه وجعله على خزاين الارض فما صنع حين اكمل

له امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه فقال الحكم وانا اقول لا تثريب عليكم
اليوم ولو لم اجد الا ثوبي لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى صديق
له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ
بك منك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا
واتي عبد الملك بن مروان باسارى ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ما
ترى قال ان الله قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما تحب من العفو
فعفا عنهم وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ
اخا له فقال ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ان جئتك
بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا اتيك بكتاب من العزيز
الحكيم واقيم عليه شاهدين ابرهيم وموسى ام لم ينبا بما في صحف موسى
وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله
هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه
فقد هزم الشيطان **فضيلة الرفق** اعلم ان الرفق محمود ويضاده ٥
العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين
نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد
يكون سببه شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع

من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا
حسن الخلق الا بضبط القوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما
على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله على الرفق وبالغ فيه
فقال يا عايشه انه من اعطى حظه من الرفق اعطى حظه من خير
الدنيا والاخره ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا
والاخره وقال عليه السلام ان الله ليعطى على الرفق ما لا يعطى على
الخرق وقال عليه السلام اذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من
اهل بيت يحرمون الرفق الا قد حرموا وقال عليه السلام ان الله
رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال عليه السلام
من حرم الرفق حرم الخير كله وقال عليه السلام ايما وال ولي فلان
ورفق رفق به يوم القيمة وقال عليه السلام تدرون من يحرم
على النار كل هين لين سهل قريب وقال عليه السلام الرفق يمن
والخرق شوم وقال التانى من الله والعجلة من الشيطان وروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه رجل فقال يا رسول الله
ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال
الحمد لله الحمد لله مرتين او ثلاثا ثم اقبل عليه فقال انت مستوص
هل انت مستوص مرتين او ثلاثا قال نعم قال اذا اردت امرا فتدبر

عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته
وعن عايشه انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال عليه
السلام يا عايشه عليك بالرفق فانه لا يدخل في شي الا زانه
ولا ينزع من شي الا شانه **الاثار** بلغ عمر بن الخطاب
ان جماعة من عماله اشتكوا فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله
واثنى عليه ثم قال ايتها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة
بالغيب والمعاونة على الخير ايتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا
واعلموا انه لا حلم احب الى الله ولا اعم من حلم امام ورفقه ولا
جهل ابغض الى الله ولا اعم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من ياخذ
بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه وقال وهب
ابن منبه الرفق ثني الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا الحلم خليل
المومن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده
واللين اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان
يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه
الرفق وما اضيف شي الى شي مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص
لابنه عبد الله ما الرفق قال ان يكون ذا اناه وتلاين الولاه قال فما

الخرق قال معاداة امامك ومناواة من تقدر على ضرك وقال
سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان
تضع الامور مواضعها الشدة فى موضعها واللين فى موضعه والسيف
فى موضعه والسوط فى موضعه وهذه اشارة الى انه لابد من
مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل ٥ الندى
ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف فى موضع
فالمحمود وسط بين العنف واللين كما فى ساير الاخلاق
ولكن لما كانت الطباع الى الحدة والعنف اميل كانت الحاجة الى
ترغيبهم فى جانب الرفق اكثر فلذلك كثر ثنا الشرع على جانب
الرفق دون العنف وان كان العنف فى محله حسنا كما ان
الرفق فى محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق
الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد هكذا قاله عمر بن عبد العزيز
وروى ان عمرو بن العاص كتب الى معوية يعاتبه فى التانى فكتب اليه
معوية اما بعد فان التفهم فى الخير زيادة ورشد وان الرشيد من
رشد عن العجلة وان الخايب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب
او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطى او كاد يكون مخطيا وان من لا
ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالى

وعن ابى عون الانصارى قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا
والى جانبها كلمة الين منها تجرى مجراها وقال ابو حمزة
الكوفى لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا
واعلم انه لا يعطونك بالشدة شيا الا اعطوك باللين ما هو
افضل منه وقال الحسن المومن وقاف متان وليس كحاطب
ليل فهذا ثنا اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد فى
اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع لكن
على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف
فيعطى كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل عليه
حكم واقعة من الوقايع فليكن ميله الرفق فان النجح معه فى الاكثر

القول فى ذم الحسد

وفى حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية
الواجب فى ازالته **بيان ذم الحسد** اعلم ان الحسد ايضا من نتايج
الحقد والحقد من نتايج الغضب وهو فرع الغضب والغضب اصل
اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد فى
ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال عليه السلام
فى النهى عن الحسد واسبابه وثمراته لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا

تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا
عند رسول الله فقال يطلع عليكم من هذا الفج رجل من اهل
الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينطف لحيته من وضوئه قد علق
نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال النبي مثل ذلك
فطلع ذلك الرجل وقال في اليوم الثاني مثل ذلك فطلع ذلك
الرجل فلما قام النبي تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال اني لاحيت
ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلاثا فان رايت ان تؤويني اليك حتى
تمضي فعلت فقال نعم فبات عنده ثلث ليال فلم يره يقوم من الليل
شيا غير انه اذا تقلب على فراشه ذكر الله ولم يقم حتى يقوم لصلاة
الفجر قال غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مر الثلث وكدت ان
احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة
ولكني سمعت رسول الله يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك
فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذاك قال ما هو الا
ما رايت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد
على احد من المسلمين في نفسي غشا ولا احسد على خير اعطاه الله
اياه قال عبد الله هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وقال عليه
السلام ثلاث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم

بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا
حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلاث لا ينجو منهن احد فاثبت في
هذه الرواية النجاة وقال عليه السلام دب اليكم داء الامم
قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة
الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى
تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم
افشوا السلام بينكم وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون
كفرا وكاد الحسد يغلب القدر وقال عليه السلام انه سيصيب
امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر
والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون
الهرج وقال عليه السلام لا تظهر الشماتة لاخيك فيرحمه الله
ويبتليك وروي ان موسى لما تعجل الى ربه راى في ظل العرش رجلا
فغبطه لمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه فسال ربه ان
يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله بثلث كان لا
يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا
يمشي بالنميمة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد
عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي

وقال عليه السلام اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال
فيتحاسدون ويقتتلون وقال عليه السلام استعينوا على
قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال عليه
السلام ان لنعم الله اعداء فقيل ومن ذاك فقال الذين يحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال عليه السلام ستة يدخلون
النار قبل الحساب بستة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء
بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة
واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد **الآثار** قال بعض
السلف ان اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم ان سجد
له فحمله الحسد على المعصية وحكي ان عون بن عبد الله دخل على
المفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اريد ان اعظك بشيء
فقال ما ذاك فقال اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ثم
قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية واياك والحرص فانه اخرج
آدم من الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض يأكل
منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها فاخرجه الله ثم قرأ
اهبطا منها الى آخر الآية واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه
حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق الآية واذا ذكر

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسكت واذا ذكرت
النجوم فاسكت وكان بكر بن عبد الله رجلا يغشى بعض الملوك فيقوم
حذاء الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيك
مساويه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى
الملك فقال ان هذا يقوم بحذائك ويقول ما يقول وزعم ان
الملك ابخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه
اليك فاذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم رائحة البخر
فقال له انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى
منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء
الملك فقال احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيك مساويه
فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان
يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا
الا صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب
له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك صاحب كتابي فاذبحه
واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج
فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك
لي بصلة فقال هبه مني فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل

العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك فقال إن الكتاب ليس هو لي
الله الله في أمري حتى أراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة
فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به ثم عاد الرجل إلى
الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعل الكتاب
قال لقيني فلان فاستوهبه فوهبته فقال الملك إنه ذكر لي
أنك تزعم أني أبخر قال ما فعلت قال فلم وضعت يدك على أنفك
قال كان أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت
ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسيء مساويه وقال ابن سيرين
ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة
فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل
النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال
رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بنو يعقوب نعم ولكن
غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً ولا لساناً وقال
أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده وقال
معوية كل الناس أقدر على رضاه إلا الحاسد نعمة فإنه لا يرضيه
إلا زوالها قيل كل العداوة قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك
عن حسد وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما

يلقى وقال أعرابي ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد
أنه يرى النعمة نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك
فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله
وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار وقال بعضهم
الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً ولا ينال من الملائكة
إلا لعنة وبغضاً ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً ولا ينال عند
النزع إلا شدة وهولاً ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً

بيان حقيقة الحسد

وأقسامه ومراتبه اعلم أنه لا حسد إلا على
نعمة فإذا أنعم الله تعالى على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان أحدهما
أن تكره النعمة وتحب زوالها وهي الحالة التي تسمى حسداً فالحسد حده
كراهة النعمة وحب زوالها من المنعم عليه الحالة الثانية أن لا تحب
زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذا
يسمى غبطة وقد يخص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسداً
والحسد منافسة وقد يوضع أحد اللفظين بدل الآخر ولا حجر في
الأسامي بعد فهم المعاني وقد قال عليه السلام المؤمن يغبط والمنافق
يحسد فأما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر
وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق

فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها
من حيث انها نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو امنت فساده لم
يغمك بنعمة ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه
الكراهة تسخط لقضا الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك
لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم
من غير ان يكون لك فيه مضرة والى هذا اشار القران بقوله تعالى
وان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ه
وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى
لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا فاخبر ان حبهم زوال نعمة
الايمان حسد وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء
وذكر الله حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم فقالوا ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا
يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيه له
ساءهم ذلك واحبوا زوالها عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا
يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون
فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال كان الناس امة واحدة الى قوله
الا الذين اوتوه من بعد ما جاتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير

حسدا وقال تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاهم العلم بغيا
بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويولف بينهم على طاعته فامرهم
ان يتالفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذا اراد كل واحد
ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن
عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي عليه السلام اذا
قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب
الذي تنزله الا ما نصرتنا وكانوا ينصرون فلما جا النبي من ولد
اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاهم ما عرفوا كفروا
به بئس ما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا
اي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم
جا ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال
اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته
ايام الحياة وهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة فليس
بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة او مباحة وقد تستعمل
لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم
ابن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا النبي صلى الله عليه وسلم

وبينا لانه ان يؤمرهما على الصدقة لعلى حين قال لهما على لا
تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ماذا منك الا نفاسة
والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اى هذا منك حسد
وما حسدناك على تزويجه اياك فاطمة والمنافسة مشتقة فى
اللغة من النفاسة والذى يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى
وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وقال سابقوا الى مغفرة
من ربكم وانما المنافسة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان
الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى
عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وقد صرح رسول الله بذلك
فقال لا حسد الا فى اثنتين رجل اتاه الله مالا فسلطه
على هلكته فى الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس
ثم فسر ذلك فى حديث ابى كبشة الانمارى فقال مثل هذه
الامة مثل اربعة رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه
فى ماله ورجل اتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان
لى مالا مثل مال فلان كنت اعمل فيه بمثل عمله فهما فى الاجر سواء
وهذا منه حب لان يكون له مثل ما كان له من غير حب زوال النعمة
عنه قال ورجل اتاه الله مالا فهو ينفق فى معاصى الله ورجل

لم يؤته مالا فيقول لو ان لى مالا مثل مال فلان كنت اعمل
بمثل عمله فهو فى الوزر سواء فذمه رسول الله من جهة تمنيه
للمعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ما له فاذا
لا حرج على من يغبط غيره فى نعمته ويشتهى لنفسه مثلها مهما
لم يحب زوالها منه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك
النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة فهذه
المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه ان لم يحب
ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة
من الفضائل كانفاق الاموال فى المكارم والصدقات
فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم فيها على
وجه مباح فالمنافسة فيها مباح وكل ذلك يرجع الى ارادة
مساواته واللحوق به فى النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان
تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والاخر ظهور
نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو
تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف
نفسه ونقصانها فى المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض
الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه

لا يوجب العصيان وها هنا دقيقة غامضة وهو انه اذا
ايس عن ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا
محالة يحب زوال النقصان وانما يزول النقصان اما بان ينال
مثله او بزوال نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد
القلب لا ينفك عن شهوة للطريق الاخر حتى اذا زالت النعمة من المحسود
كان ذلك اشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره
وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو القي الامر اليه
ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا
مذموما وان كان يزعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفو عنه ما
يجده في طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان
كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعني بقوله عليه
السلام ثلث لا ينفك المؤمن عنه الحسد والبغي والطيرة ثم قال
وله عنهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي ان وجدت في قلبك شيئا
فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا للالحاق باخيه في
النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة
له ترجيحا على دوامها وهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام
فينبغي ان يحتاط له فانه موضع الخطر ولا انسان الا وهو يرى فوق

نفسه من معارفه واقرانه من يحب ان يساويه ويكاد يجره
ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما
كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره الى الحسد
المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى
مساواته اذا لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة
وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سوا كان في مقاصد الدين
او في مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه ذلك ما لم يعمل به ان شا الله تعالى
ويكون كراهته من ذلك لنفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد
واحكامه واما مراتبه فاربعة الاولى ان يحب زوال النعمة
عنه وان كان لا ينتقل اليه وهذا غاية الخبث والثانية ان يحب
زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة
وامراة جميلة او ولاية نافذة واسعة نالها غيره وهو يحب ان
يكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد
النعمة لا تنعم غيره بها الثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها
فان عجز عن مثلها احب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما الرابعة
ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا
الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في

الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من
الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الثانية حسدا تجوز وتوسع
ولكنه مذموم قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم اما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان اسباب الحسد والمنافسة اما المنافسة فسببها
حب ما فيه المنافسة فان كان امرا دينيا فسببه حب الله
وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا
والتنعم فيها وانما نظرنا الان في الحسد ومداخله كثيرة جدا
ولكن يحصر جملتها سبعة اسباب العداوة والتعزز والتكبر
والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة
وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليها اما لانه
عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس
الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته
اليه او الى من يحبه واما ان يكون من يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه
وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد
بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك
عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان يكون النعمة عظيمة والمنصب

كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما
ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى
مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تبتني
على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من
هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ولا بد
من شرح هذه الاسباب **السبب الاول** العداوة والبغضاء
وهذا اشد اسباب الحسد فان من آذاه انسان بسبب من الاسباب
وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه
ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان
عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان وربما
يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصاب عدوه بلية فرح
وظنه مكافاة من جهة الله له على بغضه وانه لاجله ومهما اصابته
نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له
عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل انعم عليه وبالجملة
فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا
يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا فيستوي عنده
مسرته ومساءته وهذا غير ممكن وهذا مما وصف الكفار به اعني

الحسد بالعداوة اذ قال واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا
عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم
بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم الاية وكذلك
قوله تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم والحسد
بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق
العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما
يجري مجراه **السبب الثاني** التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع
عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف
ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه
وتفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره
فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بترفعه عليه ه
السبب الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره
ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه
فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما
يتشوف الى مساواته او الى ان يترفع عليه فيعود متكبرا بعد ان
كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كيف يتقدم علينا غلام

يتيم وكيف نطأطئ له رؤوسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه
اذا كان عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش اهؤلاء منّ الله
عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم **السبب الرابع**
التعجب كما اخبر الله عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر
مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم
اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب
من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النعمة عنهم جزعا
ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة
وتقدم عداوة او سبب آخر من الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله
بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة وقال تعالى او عجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم **السبب الخامس** الخوف من فوت
المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد
يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا
الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد
الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل به الى
المقاصد الكرامة والمال ولذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد

في نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندما الملك وخواصه
نيل المنزلة من قلبه للتوسل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد
الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل
المال من القبول عندهم وكذلك العالمين المتزاحمين على طايفة من
المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة في قلبهم للتوصل بهم
الى الاغراض لهم السبب السادس حب الرياسة وطلب الجاه
نفسه من غير توسل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان
يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء
واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه
وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك
واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم
او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما ينفرد هو
به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز
ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة
بدعوى الانفراد وهذا ورا احاد ما بين العلما من طلب الجاه والمنزلة
في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علما
اليهود ينكرون معرفة رسول الله ولا يومنون خيفة من ان تبطل

رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم السبب السابع خبث
النفس وشحها بالخير لعباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة
وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله
فيما انعم به عليه شق عليه ذلك واذا وصف به اضطراب امور — الناس
المسلمين وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو
ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم
ياخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه
والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره وهذا يبخل بنعمة الله على عباده
الذين ليس بينه وبينهم لا عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب
ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة
ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بساير الاسباب اسبا — بها
عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة
لا عن سبب عارض فتعسر ازالته او يستحيل في العادة ازالته
فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها
او جميعها في شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر
معه على الاخفا والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر
العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات يجتمع فيها جملة من هذه

الاسباب وقل ما يتجرد سبب واحد **بيان السبب** في كثرة
الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب
وتأكده وقلته وضعفه في غيرهم اعلم ان الحسد انما
يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين
قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب ويتظاهر اذ الشخص الواحد
يجوز ان يحسد لانه يمتنع من قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه
عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين قوم
تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون
على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر
طبعه وابغضه وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان يستحقره
ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة
التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة الاسباب اذ لا رابطة
بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك
في محلتين نعم اذا تجاوروا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة
تواردوا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر
والتباغض ومنه يثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم
يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم

والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا
يحسد البزاز الا بسبب اخر سوى الاجتماع في الحرفة وكذا
الرجل يحسد اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب تحسد ضرتها
وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز
غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز
الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز اخر
اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز
المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون
حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم
لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر وينفرد بهذه الخصلة ولا
يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد
الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده الفقيه والطبيب لان
التزاحم بينهما على مقصود اخص فاصل هذه المحاسدات العداوة
واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متبا عدين
بل متناسبين فلذلك كثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه
واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من
هو في العالم وان بعد من يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشا

جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا التي تضيق على المتزاحمين
واما الآخرة لا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم
من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه
وملكوت ارضه وسمائه لا يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا
لان المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف
الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره
بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة
فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله
وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق ايضا
فيما عند الله لان اجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيها
ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد
الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا
لان المال هي اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنه
يد الآخرين ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم
عالم انصرف عن تعظيم الآخر او نقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا
للمحاسدة واذا امتلأ قلبه بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك ان
يمتلئ قلب غيره به وان يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل

في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر
ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه والمال
اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض
لم يبق بعده مال يملكه والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه
فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت ارضه
وسمائه صار ذلك الذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه
ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره
ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بموانسته
فيكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة
من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف
وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو ابدا يجتني
ثمارها فهو بروحه وبقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير
مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين
الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة
في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا
حالهم وهم بعد في الدنيا فما يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة

المحبوب في العقبى فاذا لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا
ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة
ولا مزاحمة فيها ولا ينال الا بمعرفة الله التي لا مزاحمة فيها في الدنيا
ايضا فاهل الجنة بالضرورة برآء عن الحسد في الدنيا والآخرة
جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة العليين الى مضيق السجين
ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم على
ما خص به من الاجتبا ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى
فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفا بالكل
ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السما ويتحاسدون
على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها
بالاضافة الى السما ولكن السما لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار
فلم يكن فيها تزاحم وتحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك
مشفقا ان تطلب نعيما لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك
في الدنيا الا في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت
السموات والارض ولا ينال ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة ايضا
فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذته وفتر عنه رايك
وضعفت فيه رغبتك فانت فيه معذور اذ العنين لا يشتاق الى لذة

الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات تختص بها
الرجال دون الصبيان والمخنثين وكذلك لذة المعرفة تختص بادراكها
الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى
هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف
لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدركه ومن لم يدرك
بقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا فهو له قرين

بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض
القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد ان تعرف تحقيقا
ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود
في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن
بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا
محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضا
الله وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه
بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة
التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد
انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت

اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وساير
الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبايث
في القلب يأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها
كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك
تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كد وغم اذ اعداؤك لا
يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها
وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعث
القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما تشتهي اعداؤك
لك فقد كنت المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدا
ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث
والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد
لما فيه من الم القلب ومسائته مع عدم النفع فكيف وانت عالم
بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما اعجب من العاقل
ان يتعرض لسخط الله من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم
يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فايدة واما
انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول
عنه بحسدك بل ما قدره الله من اقبال نعمة فلابد وان يدوم

الى اجل قدره الله فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار
ولكل اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبياء من امرأة
ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله تعالى اليه فر من قدامها
حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره
فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم
تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا كان
عليه اثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة تزول عن المحسود
بحسدي وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه اولا لنفسك فانك
ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد
لم يبق الله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان لان الكفار
يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ودت طايفة من
اهل الكتاب لو يضلونكم الآية اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم
يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى
ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانما اشتهى ان يسلب نعمة
الايمان بحسد الكفار وكذا ساير النعم وان اشتهيت ان تزول
النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا
غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا

يشتهى ان يخص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك بنعمة
الله عليك فى ان لم تزل النعمة بالحسد مما يوجب عليك شكرها
وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به فى الدين والدنيا
فواضح اما منفعته فى الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا
سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح
فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهى هدايا يهديها اليه
اعنى انك به تهدى اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيمة مفلسا
محروما عن النعمة كما حرمت فى الدنيا عن النعمة وكانك اردت
زوال النعمة عنه فلم تزل وكان لله عليه نعمة اذ وفقك
للحسنات فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمته واضفت
الى نفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته فى الدنيا فهو ان اهم
اغراض الخلق مساءة العدو وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين
مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية امانى
اعدائك ان يكونوا فى نعمة وان تكون فى غم وحسرة بسببهم وقد
فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا تشتهى عدوك موتك
بل تشتهى ان تطول حياتك ولكن فى عذاب الحسد لتنظر الى نعمة
الله عليه فينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل

لا مات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذى يكمد
ولا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم
خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة
وبلية عنده مما انت فيما يلازمه من غم الحسد الا كما
يشتهيه عدوك فاذا اذا تاملت هذا انك عدو نفسك وصديق
عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به فى الدنيا والاخرة وانتفع به
عدوك فى الدنيا والاخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق
شقيا فى الحال والمال ونعمة المحسود دايمة شئت ام ابيت ثم
لم يقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال اعظم سرور
على ابليس الذى هو اعدا اعدايك لانه لما راك محروما عن نعمة
العلم والورع والجاه والمال الذى اختص به عدوك عنك خاف
ان تحب ذلك له فتشاركه فى الثواب بسبب المحبة لان من احب
الخير للمسلمين كان شريكا فى الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر
فى الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس ان
تحب ما انعم الله به على عبده من دينه ودنياه فيفوز بثواب الحب
فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال

اعرابى للنبى صلى الله عليه وسلم الرجل يحب القوم ولا يلحق بهم فقال
النبى عليه السلام هو مع من احب وقام اعرابى ورسول الله
يخطب فقال متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها
كثير صلاة ولا صيام الا انى احب الله ورسوله فقال النبى صلى الله
عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فما فرح المسلمون بعد
اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر ثقتهم كان بحب الله
ورسوله قال انس فنحن نحب الله ورسوله وابا بكر وعمر ولا نعمل
مثل عملهم ونرجو ان نكون معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله
الرجل يحب المصلين ولا يصلى ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشيا
فقال النبى هو مع من احب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان
يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع ان تكون
عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم
تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله مخرجا فانظر
الان كيف حسدك ابليس فيفوت عليك ثواب الحب ثم لم تقنع به
حتى بغضه اليك وحملك على الكراهية حتى اثمت وكيف لا وعسى ان
تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطى فى دين الله وينكشف
خطاوه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا

يعلم ولا يتعلم واى اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق
به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الاخرة وقد
جا فى الحديث اهل الجنة ثلث المحسن والمحب والكاف عنه
اى من كف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف
ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تدور بها البتة
فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ حسدك على عدوك بل
على نفسك بل لو كوشفت بحالك فى يقظة او منام لرايت نفسك
ايها الحاسد فى صورة من يرمى حجرة الى عدوه ليصيب بها مقتله
فلا يصيبه بل ترجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا
فيعود فيرميها اشد من الاول فترجع على عينه الاخرى فتعميها
فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على راسه فتشجه وعدوه
سالم فى كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداوه
حواليه يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية
الشيطان منه لا بل حالك فى الحسد اقبح من هذا لان الحجرة العايدة
لم يفوت الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لا محاله والحسد
يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله
والى النار فلان يذهب عينه فى الدنيا خير من ان يبقى له عين يدخل

بها الى النار فتقلعها لهب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد
اذا اراد زوال النعمة من المحسود فلم يزلها منه ثم ازالها
من الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم
والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق
المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقل
ما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عايشة ما
تمنيت لعثمن شيا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا
اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف
وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي
من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلك الامم فهذه هي الادوية
العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر
انطفت من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح
عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فيه
فهو ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل
فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح
فيه كلف لسانه المدح والثنا عليه وان حمله على التكبر عليه
الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف

الانعام عليه الزم نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل
ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما
ظهر حبه عاد الحاسد واحبه وتولد منهما الموافقة التي
تقطع مادة الحسد لان التواضع والثنا والمدح واظهار
السرور بالنعمة تستميل قلب المنعم عليه وتسترقه وتستعطفه
وتحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى
الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا اخرا ولا يصدنه
عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت حملك العدو
على العجز او على النفاق والخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان
ذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كان او طبعا
تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقلل مرغبها وتعود القلوب
الى التالف والتحاب وبه تستريح القلوب من الم الحسد وغم
التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها
مرة جدا ولكن النفع في الدوا المر فمن لم يصبر على مرارة الدوا
لم ينل حلاوة الشفا وانما تهون مرارة هذا الدوا اعني التواضع
للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثنا بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها هنا
وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضا الله واحباب ما احبه وعز

النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شيء على خلاف مرادها
وعند ذلك ما يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات
المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد
امرين اما بان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس
اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجا
هدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على
كل عاقل هذا هو الدوا الكلي واما الدوا المفصل فهو تتبع
اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا
يعني وسياتي تفصيل مداوات هذه الاسباب في مواضعها فانها
مواد هذا المرض ولم ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع
المادة لم يحصل مما ذكرناه الا تسكين وتطفية ولا يزال يعود
مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقا مواده فانه
ما دام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استاثر بالجاه والمنزلة
في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون
الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه راسا
فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن اذاك لا يمكنك الا تبغضه
غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهه حتى
يستوي عندك حسن حال عدوك وسوءها له بل لا تزال
تدرك في النفس بينهما تفرقة فلا تزال تنازع الى الحسد له
ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او
فعل بحيث تعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت
حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك
بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة
فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة
الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا
وقال ود الذين كفروا وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما
الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو
عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد
ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله عز
وجل وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح واما
اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه
بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها
فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد

اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال
اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن
ويكون فرحه او غمه بما يتيسر لهما من نعمه او ينصب عليهما من بلية
سوا فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ
الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله
فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد
بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهو عين الرحمة ويرى الكل عباد
الله وافعالهم افعالا لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو
كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب بعد ذلك الى طبعه
ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة
فمهما قابل ذلك بكراهته الزم قلبه فقد ادى ما كلفه وذهب
ذاهبون الى انه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي
عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم
تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى رسول الله انه قال
ثلاثة في المؤمن له منهن مخرج ومخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى
ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهة من جهة الدين
والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة

تمنعه من البغي ومن الايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم
الحسد يدل ظاهره على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن
صفة القلب لا عن الافعال وكل من يحب مساءة المسلمين فهو حاسد
فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد
والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث
المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد في ارادته مساءة مسلم
واشتمال القلب عليه من غير كراهية وقد عرفت من هذا ان
لك في اعدائك ثلاثة احوال احدها ان تحب مساءتهم بطبعك
وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك
عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك
فهو معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه
الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او
بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالثة وهي بين
الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك
ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد
في مقتضاها وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر
قوة ذلك الحب وضعفه تم كتاب آفة الغضب والحقد

والحمد بعون الله تعالى ويتليه كتاب ذم الدنيا وهو
الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب احيا علوم الدين

كتاب ذم الدنيا وهو السادس

من ربع المهلكات من كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ الحمد لله الذي عرف
اولياه غوايل الدنيا وافاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها
حتى نظروا في شواهدها واياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها
فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها
ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امراة مليحة
تستميل الناس بجمالها ولها اسرار سو تهلك الراغبين في
وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا اقبلت
لم يومن شرها ووبالها ان احسنت ساعة اساءت سنة وان
اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دايرة
وتجارة بنيها خاسرة بايرة وافاتها على التوالي لصدور طلابها
راشقة ومجاري احوالها بذل طلابها ناطقة فكل متغرر بها الى
الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شانها الهرب من
طالبها والطلب لهاربها من خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته

لا يخلو صفوها عن شوايب الكدورات ولا ينفك سرورها عن
المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها لا يسوق الا الى
الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي خداعة
مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من
احبابها كشرت لهم عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها
وكشفت لهم مكنون عجايبها واذاقتهم قواتل سمها ورشقتهم
بصوايب سهمها بينما اصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت
عنهم كانها اضغاث احلام ثم عكرت عليهم بدواهيها
فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد ان
ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كان
لم تغن بالامس تمني اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون
كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم
هبا منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا ۝ والصلوة على محمد
عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان من اله
واصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم كثيرا
اما بعد فان الدنيا عدوة لله عدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء
الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك

لم ينظر اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت
لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر
في مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم
بمكرها وكيدها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها
وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها
حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم عن السعادة ابد
الاباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون
ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك
الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينصرون واذ غوائل الدنيا وشرورها فلابد اولا
من معرفة حقيقة الدنيا ما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها
وما مدخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه
ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها
وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه
الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل
بفضولها ان شاء الله تعالى **بيان ذم الدنيا** الايات الواردة
في ذم الدنيا وامثلتها كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا

وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الاخرة بل هو مقصود الانبياء
ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات
القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها
فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة
ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على صاحبها قالوا
نعم قال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله عز وجل من
هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح
بعوضة ما سقى كافرا منها شربة وقال عليه السلام الدنيا
سجن المؤمن وجنة الكافر وقال عليه السلام الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ابو موسى الاشعري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر بآخرته
ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى
وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد
ابن ارقم كنا مع ابي بكر فدعا بشراب فاتي بماء وعسل فلما
ادناه من فيه بكى وبكى حتى ابكى اصحابه فسكتوا وما سكت ثم
عاد وبكى حتى ظنوا انهم لم يقدروا على مسألته قال ثم مسح عينيه
فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول

الله فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحدا فقلت
يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا
تمثلت لي فقلت لها إليك عني ثم رجعت فقالت إنك إن أفلت
مني لم يفلت مني من بعدك وقال عليه السلام أما عجبا كل
العجب للمصدق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور وروي
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال
تعلموا إلى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما
قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذا إشارة إلى أن زينتها ستخلق
مثل تلك الخرق وأن الأجسام التي ترى فيها ستصير عظاما بالية
وقال عليه السلام إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم
فيها فناظر كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا
ومهدت تاهوا في الحلية والنسا والطيب والثياب
وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم
الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب
كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه
الآفة وقال أيضا يا معشر الحواريين إني قد كببت لكم
الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فإن من خبث الدنيا أن

الله قد عصي فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك
إلا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا
أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة أورثت
أهلها حزنا طويلا وقال عليه السلام بطحت لكم الدنيا
وجلستم على ظهورها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنسا فأما
الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فإنهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم
ودنياهم وأما النسا فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال
أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا
حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجي
الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبي عليه السلام
إن الله جل ثناؤه لم يخلق شيئا أبغض إليه من الدنيا وإنه
منذ خلقها لم ينظر إليها وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام
مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه ويساره
قال فمر بعابد من عباد بني إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد
آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان فقال لتسبيحة
في صحيفة مؤمن خير مما أوتي ابن داود فإن ما أعطي ابن داود
يذهب والتسبيحة تبقى وقال عليه السلام ألهاكم التكاثر

يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت
او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال عليه السلام
الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل
له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له
ولها يسعى من لا يقين له وقال عليه السلام من اصبح والدنيا
اكبر همه الزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا
وشغلا لا يفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا
لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها
قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي واديا من اودية
المدينة فاذا مزبلة فيها رؤوس الناس وعذرات وجيف
وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم
وتامل املكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صايرة رمادا وهذه
العذرات الوان اطعمتكم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها
ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحاموها وهذه
الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها
وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها

اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا
حتى اشتد بكاؤنا ويروى ان الله عز وجل لما اهبط ادم الى
الارض قال ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال
مكتوب في صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على
الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم
بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون علي منك
كل شانك صغير والى الفنا تصيرين قضيت عليك يوم خلقتك
الا تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وان بخل بك صاحبك وشح
عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم الرضا ومن ضميرهم
على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء
اذا وفدوا الي من قبورهم الا النور يسعى امامهم والملائكة
حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السما والارض منذ
خلقها الله تعالى لم ينظر اليها وتقول يوم القيمة يا رب اجعلني
لادنى اوليايك نصيبا اليوم فيقول اسكتي لا شي اني لم ارض
لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وروي في اخبار ادم عليه
السلام انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن

تجعلوا في شي من اطعمة الجنة الا في الشجرة فلذلك نهيا عن
اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكا
يخاطبه فقال قل له اي شي تريد قال آدم اريد ان اضع ما
في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان تضعه اعلى
الفرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل
ترى ها هنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا ٥
وقال عليه السلام ليحشرن اقوام يوم القيمة واعمالهم
كجبال تهامة فيومر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين
قال نعم كانوا يصلون ويصومون وياخذون هنة من الليل
فاذا عرض لهم من الدنيا شي وثبوا عليه وقال عليه السلم
في بعض خطبه المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما
الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود
العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن حياته لموته
ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للاخرة
والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار
الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا
والاخرة في قلب مومن كما لا يستقيم الما والنار في اناء واحد

ويروى ان جبريل قال لنوح عليهما السلام يا اطول الانبيا عمرا
كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما
وخرجت من الاخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا
فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا عليه السلام
احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وعن الحسن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال
هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه
من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك
ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم
وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم
الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة
الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو
يقدر على الغنى وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على
الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه
الله عز وجل ثواب خمسين صديقا وروي ان عيسى عليه السلام
اشتد به المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيا يلجا اليه
فرفعت له خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امراة فحاد عنها فاذا

هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده عليه
وقال الهي لكل شيء ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى الله تعالى
اليه ماواك في مستقر من رحمتي لازوجنك يوم القيمة مائة
حورا خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة الاف عام يوم
منها كعمر الدنيا ولامرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا
زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم وقال عيسى ويل لصاحب الدنيا
كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل
للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم
ما يوعدون ويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا
بذنبه وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى
ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك
وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت
الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى اخذ منه للمظلوم وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح
فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا
صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله

حين راهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء
قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم
فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى عليكم ان تبسط
عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما
تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري
قال رسول الله ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم
من بركات الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا
فنهى عن ذكرها فضلا من اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر
عيسى عليه السلام بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق
فقال لهم يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا
عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم
فسال ربه فاوحى اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان
الليل اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك
يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية واصبحنا
في الهاوية قال وكيف ذاك قال لحبنا الدنيا وطاعتنا اهل
المعاصي قال وكيف كان حبكم الدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت

فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم
يجيبون قال لانهم ملجمون بلجام من نار بايدي ملائكة غلاظ
شداد قال كيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم
اكن منهم فلما نزل العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم
لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لاكل
خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير
مع عافية الدنيا والاخرة وقال انس كانت ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم العضبا لا تسبق فجا اعرابي بناقة له
فسبقتها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله انه حق على
الله ان لا يرفع شيا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى من ذا الذي
يبني على البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى
علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله
وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون
ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولهانت عليكم الدنيا ولاثرتم
الاخرة ثم قال ابو الدرداء لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدا
تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها
الا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الاخرة وحضرها

الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون
فبعضكم شر من البهايم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته مالكم
لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوايكم
الا خبث سرايركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم مالكم تناصحون في
امر الدنيا ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر اخرته
ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الاخرة
وشرها كما توقنون بالدنيا لاثرتم طلب الاخرة لانها املك باموركم
وان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا
للاجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراز في طلب امر
لعلكم ما تدركونه فبيس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به
الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد فائتونا فلنبين لكم
ولنريكم من النور ما تطمين اليه قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم
فنعذركم انكم تستبينون صواب الراي في دنياكم وتاخذون بالحزم
في اموركم مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على
اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم
وتسمونها المصايب وتقيمون فيها الماتم وعامتكم قد تركوا
كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا يتغير حالكم اي

لأرى الله قد نبّئوا منكم يلقى بعضكم بعضًا بالسرور وكلكم
يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه
بمثله فاصبحتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم
على رفض الاجل ولوددت ان الله اراحني منكم والحقني بمن احب
رؤيته ولو كان حيًا لم يصابركم وان كان فيكم خير افقد
اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرًا وبالله استعين
على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين
ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا
بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل

ارى رجالا بدون العيش قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك
الدنيا ابر وقال نبينا عليه السلام لتاتينكم بعدي دنيا
تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب واوحى الله تعالى الى موسى عليه
السلام ان يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد
عليك منها ومر موسى برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى
يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا بن عمران لو سال دماغه

مع عينيه ورفع يديه حتى سقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا
الاثار قال علي من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا
وعن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان
فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف
الدنيا فرفضها وعرف الاخرة فطلبها وقال الحسن رحمه الله
اقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم
عليها ثم راحوا خفافا وقال ايضا من نافسك في دينك
فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره وقال لقمان
يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك
فيها تقوى الله وحشوها الايمان بالله عز وجل وشراعها التوكل
على الله لعلك ناج وما اراك ناجيا وقال الفضيل طالت
فكرتي في هذه الاية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض
الحكماء انك لن تصبح في شي من الدنيا وقد كان له اهل قبلك
ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشا ليلة وغدا يوم
فلا تهلك في اكله وصم عن الدنيا وافطر على الاخرة وان راس
مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى

الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية ويبعد
الامنية قيل فما حال اهله قال من ظفر به لغب ومن فاته نصب

وقد قيل

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكما كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا
اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها
منها على وجل اما بنعمة زايلة او منية قاضية وقال بعضهم
من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما ان تزيد واما
ان تنقص وقال سفين اما ترى النعم كانها مغضوب عليها قد
وضعت في غير اهلها وقال ابو سليمن الداراني من طلب الدنيا
على المحبة لها لم يعط منها شيا الا اراد اكثر ومن طلب الاخرة
على المحبة لها لم يعط منها شيا الا اراد اكثر وليس لها غاية ولا
لهذا غاية وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست
لي بدار فقال انظر ما اتاك الله عز وجل منها فلا تاخذه الا من
حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا
لانه لو اخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج

وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من
حانوته شيا فيجي ويأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا
من ذهب يفنى والاخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار
خزفا يبقى على ذهب يفنى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه
بلغني انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال
هذا عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس
الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردوده

وقد قيل

وما المال والاهلون الا ودیعة ولا بد يوما ان ترد الودايع

وزار رابعة اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت
اسكتوا من ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها
الا من احب شيا اكثر ذكره وقيل لابرهيم بن ادهم كيف انت

قال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

وقيل ارى طالب الدنيا وان طال عمره ونال من الدنيا سرورا وانعما
كبان بنى بنيانه فاقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقيل هب الدنيا تساق اليك عفوا أليس مصير ذاك الى انتقال
وما دنياك الا مثل فيء اظلك ثم آذن بالزوال
وقال لقمن يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله جعل الدنيا ثلاثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد منها فليصبر على معاشرة الكلاب وقيل

يا خاطب الدنيا الى نفسها تنح عن خطبتها تسلم
ان الذى تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم

وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

وقيل يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
افنى القرون التي كانت منعمة كر الليالي اقبالا وادبارا
كم قد ابادت صروف الدهر من ملك قد كان في الدهر نفاعا وضرارا
لا تأمنن بليل طاب اوله فرب آخر ليل اجج النارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق في الفردوس ابكارا
ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك ان لا تأمن النارا

وقال ابو امامة الباهلي لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال ان كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلاث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله لها تبع وقال رجل لعلي يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما اصف لك من دار من صح فيها ما امن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب وقيل له ذلك مرة فقال اطول ام اقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال ابو سليمان اذا كانت الاخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها واذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الاخرة لان الاخرة كريمة والدنيا لئيمة

وهذا تشديد عظيم ونرجوا ان يكون ما ذكره سيار بن الحكم
اصح اذ قال الدنيا والاخرة تجتمعان في القلب فايهما غلب كان
الاخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا تخرج
هم الاخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للاخرة تخرج هم الدنيا
من قلبك وهذا اقتباس مما قاله عيسى عليه السلام الدنيا
والاخرة ضرتان فبقدر ما ترضى احديهما تسخط الاخرى وقال
الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم
من التراب الذي يمشون عليه ما يبالون اشرقت الدنيا ام غربت
اذهبت الى ذا ام ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول
في رجل اتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه ويحسن
فيه اله ان يتعيش فيه يعني التنعم فقال لا لو كانت له الدنيا
كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم
فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي
حلالا لا احاسب بها في الاخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر
احدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل قدم عمر
الشام فاستقبله ابو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل
فسلم وساله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله

فقال له لو اتخذت متاعا فقال يا امير المومنين ان هذا
يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الاخرة
لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام
بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا وقال وهب قرات في بعض الكتب
الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا
منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمن لابنه يا بني انك
استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الاخرة فانت الى
دار تقرب منها اقرب من دار تباعد عنها وقال سعيد بن مسعود اذا
رايت العبد يزداد دنياه وتنقص اخرته وهو به راض فذلك
المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على
المنبر والله ما رايت قوما قط ارغب فيما كان رسول الله يزهد
فيه منكم والله ما مر برسول الله ثلث الا والذي عليه اكثر من الذي
له وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
من قال ذا من خلقها من هو اعلم بها اياكم وما شغل من الدنيا فان
الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا
اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين
ابن ادم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذه من حله

حوسب بنعمته وان اخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل
ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته
في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك كأنك
بالدنيا ولم تكن وكأنك بالاخرة لم تزل وقال فضيل
ابن عياض الدخول في الدنيا هين ولكن التخلص منها شديد
وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن
يعلم ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها
كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب ٥
وقدم على معوية رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا
كيف وجدها قال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة
يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا الهالك
ضاقت الدنيا بمن فيها قال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده
أو اجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال لا حاجة لي اليك
وقال داود الطائي يا ابن ادم فرحت ببلوغ املك وانما
بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت بعملك كأن منفعته لغيرك
وقال بشر من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه ٥
وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الزق به

شيء يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا
الا بحسرات انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن
الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنا فقال
انما نال الغنا من عتق من رق الدنيا وقال ابو سليمن لا يصبر عن
شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالاخرة وقال
ملك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا
ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري اي
عذاب الله ينزل وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير
الاخرة وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنا
منها لمن اهانها وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه
من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد اعاد عليه واذا هان عليه
عبد بسط له بسطا وكان بعضهم يدعو يا ممسك السماء ان تقع
على الارض امسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر ارأيت لو ان رجلا
صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا يفتر وتصدق بماله وجاهد في سبيل
الله واجتنب محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيمة فيقال ان
هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف
ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا

من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم اشتدت مؤونة الدنيا
والاخرة فاما مؤونة الاخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما
مؤونة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا
قد سبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا بين السما والارض
كالسقى البالى ينادى ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا
رب لم تبغضني فيقول لها اسكتى يا لاشي اسكتى يا لاشي وقال
عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب فى القلب قد
احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح
قلبه بشي من الدنيا فقد اخطا الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه
فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل
لبشر مات فلان قال جمع الدنيا وذهب الى الاخرة ضيع نفسه قيل
انه كان يفعل ويفعل وذكروا ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا
وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن
نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن
تركها فقيل الاخرة لمن هي فقال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا
دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر
منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي من المريدين

الناطقين بلسان الحق فى الدين وعظ اخاه فى الله وخوفه
بالله فقال يا اخى ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها
الى الخراب صاير وساكنها الى القبور زاير شملها على الفرقة
موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار
والاعسار فيها يسار فافزع الى الله وارض برزق الله لا تتسلف
من دار بقائك فى دار فنائك فان عيشك فى زايل وجدار مايل
اكثر من عملك وقصر من املك وقال ابرهيم بن ادهم لرجل
ادرهم فى المنام احب اليك ام دينار فى اليقظة فقال دينار
فى اليقظة فقال كذبت لان الذى تحبه فى الدنيا كانك تحبه
فى المنام والذى لا تحبه فى الاخرة كانك لا تحبه وعن اسماعيل
ابن عياش كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك
عنا يا خنزيرة فلو وجدوا اسما اقبح من هذا لسموها به وقال
كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال يحيى بن معاذ
الرازى العاقل ثلث من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل
ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال ايضا بلغ من شومها
ان تمنيك لها يشغلك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن
عبد الله من اراد ان يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطفى النار

بالبق وقال بندار اذا رايت ابنآ الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم
انهم في سخرة الشيطان وقال ايضا من اقبل على الدنيا احرقته
نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الاخرة
صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب حتى ينتفع به ومن اقبل
على الله احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لاحد لثمنه
وقال علي انما الدنيا ستة اشيا مطعوم ومشروب وملبوس
ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل
وهو مذق ذبابة واشرف المشروبات الما وهو يستوي فيه
البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة
واشرف المركوبات الفرس وعليه تقتل الرجال واشرف
المنكوحات المراة وهي مبال في مبال والله ان المراة تزين
احسن شي منها ويراد اقبح شي منها **بيان المواعظ** في ذم
الدنيا وصفتها قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا
على مهل وكونوا من الله عز وجل على وجل ولا تغتروا بالامل
ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة
قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها
فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب

عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم عاشق لها قتلت
ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها
دار كثرت بوايقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها
يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها
يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم
قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل على الدوآء من
دليل وهل على الطبيب من سبيل فتدعى الاطبا ولا يرجى لك
الشفا ثم يقال فلان اوصى وماله احصى ثم يقال قد ثقل
لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك
جبينك وتتابع انينك وثبت نفسك وطمحت جفونك
وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك
هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان منعت الكلام فلا
تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضا وانتزعت
نفسك من الاعضا ثم عرج بها الى السما فاجتمع عند ذلك
اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوا
دك
واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا
باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم

الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه
يتوقع انه تعدو على ماله فتجتاحه وعلى جمعه فيفرقه
او ياتي سلطانه فيهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه
او تفجعه بشي هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم وهي
الاخذه ما تعطي الراجعة فيما تهب فبينما هي تضحك صاحبها
اذ اضحكت منه غيره وبينما هي تبكي له اذا بكت عليه وبينما
هي تبسط كفها بالاعطا اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج
على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سوا عليها ذهاب
ما ذهب وبقا ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى
بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز
اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامه وانما انزل
ادم عليه السلام اليها عقوبه فاحذرها يا امير المومنين فان
الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل
من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه
فكن فيها كالمداوي جراحته يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا
ويصبر على شدة الادوا مخافة طول البلا فاحذر هذه الدار
الغداره الختاله الخداعه التي قد تزينت بخدعها وفتنت

بغرورها وخلبت بامالها وتشوفت لخطابها فاصبحت
كالعروس المنجليه فالعيون اليها ناظره والقلوب اليها والهه
والنفوس لها عاشقه وهي لازواجها كلهم قاتله فلا
الباقي بالماضي معتبر ولا الاخر على الاول مزدجر ولا العارف
بالله حين اخبره عنها مذكر فعاشق قد ظفر منها بحاجته
فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل بها لبه حتى زلت عنها
قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات
الموت تالمه وحسرات الفوت بغصته ومن راغب فيها لم
يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير
زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المومنين وكن
اشد ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما
اطمان منها الى سرور اشخصته الى مكروه السار فيها لاهلها
غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخا منها بالبلا
وجعل البقا فيها الى الفنا فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع
منها ما ادبر ولا يدري ما هو ات فينتظر امانيها كاذبه
وامالها باطله وصفوها كدر وعيشها نكد وابن ادم فيها
على خطر ان عقل ونظر وهو من النعما على خطر ومن البلا على

حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا
لكانت الدنيا قد ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد
جا من الله عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناوه
قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك
عليه السلام مفاتيحها وخزائنها لا ينقصه عند الله جناح
بعوضة فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله امره او يحب
ما ابغضه خالقه او يرفع ما وضعه مليكه فزواها عن
الصالحين اختيارا وبسطها لاعدايه اغترارا فيظن المغرور
بها المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله بمحمد
صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت
الروايه عنه تبارك وتعالى انه قال لموسى عليه السلام اذا
رايت الفقر مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت [الغنى ح]
الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين فان شئت ثنيت
بصاحب الروح والكلمه ابن مريم كان يقول ادامي الجوع
وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاي في الشتا مشارق
الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي
ما انبتت الارض ابيت وليس لي شي واصبح وليس لي شي وليس

على الارض احد اغنى مني وقال ابن منبه لما بعث الله
عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لا
يروعكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي
وليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما
ما متع به منها فانما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين
ولو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها
ان مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك
فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن
نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة
واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك
العر وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي
سالما موفرا انما تزين لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف
والتقوى تثبت في قلوبهم فتظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي
يلبسون ودثارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون
ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاوهم الذي اياه يأملون ومجدهم
الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض
لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف

وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثاير له يوم القيمة ٥
وخطب علي رضي الله عنه يوما فيها اعلم انكم ميتون
ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون
بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلا محفوفة وبالفناء
معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين
اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها
بينا اهلها منها في رخاء وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور
احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها
لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها
وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه منها موفور
واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل
من مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر
ديارا وابعد اثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد
طول تقلبها واجسادهم بالية وديارهم خالية واثارهم عافية
استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة
الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطية الملحدة فمحلها
مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة

متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل
الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار
وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنتهم بكلكل البلى واكلتهم
الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحياة امواتا وبعد غضارة
العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا
فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قايلها
ومن ورايهم برزخ الى يوم يبعثون وكان قد صرتم الى ما صاروا
اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع
وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد عاينتم الامور وبعثرت
القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي
الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب
وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار
هنالك تجزى كل نفس ما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزي
الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال
ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الاية جعلنا الله
واياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليايه حتى يحلنا واياكم
دار المقامة من فضله انه حميد مجيد وقال بعض الحكماء

شرار

الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم
بسهامه ويتحرمك بلياليه واياميه حتى يستغرق جميع اجزايك
فكم بقا سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في
بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت
من كل يوم ياتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن
تدبير الله فوق الاعتبار وبالسهو عن غوايل الدنيا وجد طعم
لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجمها الحليم وقد اعيت الواصف
بعيوبها بظاهر افعالها وما ياتي به العجايب اكثر مما يحيط
به المواعظ فنستوهب الله تعالى رشدا الى الصواب وقال
بعض الحكما وقد استوصف الدنيا وقدر بقايها الدنيا وقتك
الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك
ادراكه وما لم يات فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنبعه
ليلته وتطويه ساعته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغير
والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل
وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور
وخطب عمر بن عبد العزيز فقال ايها الناس انكم خلقتم لامر
ان كنتم تصدقونه فانتم حمقى وان كنتم تكذبونه انكم لهلكى

انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله
انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق
لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون فراقها
فاعملوا لما انتم صايرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكا
ونزل وقال علي في خطبته اوصيكم بتقوى الله والترك
للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم
وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر
سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه او افضوا الى علم وكانهم
بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى
ان يبقى من له يوم من الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها
فلا تجزعوا لبوسها وضرايها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعمايها
فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل
وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم اهل الفضل
والعلم والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان الدنيا وانه لم
يرضها لاوليايه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله زهد
فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا
فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما

ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه مما سدّ الجوع نظروا
الى الدنيا بعين انها فانيه والى الاخره انها باقيه فتزودوا من
الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا الاخره نظروا
الى الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا
اليها بقلوبهم كما علموا انهم سيرحلون اليها بابدانهم صبروا
قليلاً ونعموا طويلاً كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا
ما احبّ لهم وكرهوا ما كره لهم **بيان صفة الدنيا بالامثلة**
اعلم ان الدنيا سريعة الفنا قريبة الانقضا تعد بالبقا ثم
تخلف في الوفا فانظر اليها فتراها ساكنه مستقره وهي سايرة سيرا
عنيفا ومرتحله ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها
فتطمين اليها وانما تحسّر عند انقضايها ومثالها الظل فانه
متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا يدرك حركتها بالبصر الظاهر
بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري انشد
وقال ۝ احلام نوم او كظل زايل ان اللبيب بمثله لا يخدع ۝
وكان الحسن بن علي يتمثل ويقول
۝ يا اهل لذات دنيا لا بقا لها ان اغترارا بظل زايل حمق ۝
وكان يرى انه من قوله ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا

اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك
فاقتلعوا الخيمة واصابته الشمس فقام وهو يقول
الا انما الدنيا كظل بنيته ولا بد يوما ان ظلك زايل ۝
ولذلك قيل ۝ ان امرا دنياه اكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور ۝
مثال اخر الدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها
بعد افلاتها تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام قال
عليه السلام الدنيا حلم واهلها عليها مجازون ومعاقبون
قال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فراى في
منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذا انتبه فكذلك
الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شي مما ركنوا
اليها وفرحوا بها وقيل لحكيم اي شي اشبه بالدنيا قال احلام
النايم **مثال آخر** للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها
بنيها اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل
الى الاهلاك اخرا وهي كامراة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم
ذبحتهم فقد روى ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فراها
في صورة عجوز هتما عليها من كل زينة فقال لها كم
تزوجت فقالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او

متحرك ساكن صح

كلهم طلقتك قالت بل كلهم قتلت قال عيسى عليه السلام بؤسا
لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف
تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونوا منك على حذر

مثال آخر للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها، اعلم
ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه عجوزا
متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها
وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها
وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها وقال العلا
ابن زياد رأيت في النوم عجوزا كبيرة متغضنة الجلد عليها
من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها متعجبون ينظرون
اليها فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها
فقلت لها ويلك من انت فقالت او ما تعرفني قلت لا ما ادري
فقالت انا الدنيا فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فان
احببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم وقال ابو بكر بن عياش
رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطا تصفق بيديها وخلفها
خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي اقبلت
علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك كما صنعت بهؤلاء ثم

بكى ابو بكر وقال رأيت هذا قبل ان اقدم الى بغداد
وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم
القيمة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه
خلقها وتشرف على الخلائق فيقال تعرفون هذه فيقولون
نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم
عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم
ثم تقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي
فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال
الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق
عليها من كل زينة الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا
جرحته فاذا ادبرت كانت احسن شيء رآها الناس واذا اقبلت
كانت اقبح شيء رآها الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال
فقلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله حتى
تبغض الدرهم قال فقلت من انت قالت انا الدنيا

مثال آخر للدنيا وعبور الانسان بها، اعلم ان للاحوال ثلاث حالة لم
يكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا يكون
فيها مشاهدا للدنيا وهو ما بعد موتك الى الابد وحالة

متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حياتك في الدنيا
فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طول الازل والابد
حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل قال عليه السلم
مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم
صايف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح ومن
راى الدنيا بهذه العين لم يركن الى الدنيا ولم يبال كيف انقضت
ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على
لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على
لبنة ولا قصبة على قصبة وراى بعض الصحابة يبني بيتا
من خص فقال الامر اعجل من هذا وانكر ذلك والى هذا
اشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها
ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر الى
الاخرة والمهد هو الميل الاول على راس القنطرة واللحد هو
الميل الثاني وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف
القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من بقي له
خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف ما كان فلا بد من العبور
والبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها

غاية الجهل والخذلان **مثال آخر** للدنيا في لين مأخذها
وخشونة مصدرها اعلم ان اوايل امور الدنيا تبدو لينة
يظن الخايض فيها ان حلاوة حفظها كحلاوة الخوض فيها
وهيهات فالخوض في الدنيا اسهل والخروج منها مع السلامة
شديد وقد كتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي بمثالها
فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها وتقتل سمها فاعرض عما
يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت
من فراقها وكن اشد ما يكون فيها احذر ما يكون لها فان صاحبها
كلما اطمأن منها الى سرور اشخصه عنه مكروه والسلام
مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها
قال النبي صلى الله عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي
في الماء هل يستطيع الماشي في الماء الا تبتل قدماه وهذا
يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم
وقلوبهم عنها مطهرة وعلايقها عن بواطنهم منقطعة وذلك
مكيدة بل لو اخرجوا مما هم فيها لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها
فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك
ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب

مع الدنيا يمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق اقول
لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ من شدة الوجع
كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ العبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد
من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب ولم تمتهن
تصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترق بذكر الموت
ونصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم
يتخرق او يتحل يوشك ان يكون وعا للعسل كذلك القلوب
ما لم يخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسيها النعيم فسوف
يكون اوعية للحكمة وقال نبينا عليه السلام انما بقى
من الدنيا بلا وفتنه وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا
طاب اعلاه طاب اسفله واذا اخبث اعلاه خبث اسفله

مثال آخر لما بقى من الدنيا وقلتها بالاضافة الى ما سبق
قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا
مثل ثوب شق من اوله فبقى متعلقا بخيط فى اخره يوشك
ذلك ان ينقطع مثال آخر لتادية علايق الدنيا بعضها الى
بعض حتى الهلاك قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل
شارب ما البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله

مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا اولها ولنضارة اوايلها
وخبث عواقبها اعلم ان شهوات الدنيا فى القلب لذيذة
كشهوات الاطعمة فى المعدة وسيجد العبد عند الموت
لشهوات الدنيا فى قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما
ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت فى المعدة غايتها وكما ان
الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه
اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة فى القلب هى اشهى والذ
فنتنها اقوى وكراهتها والتاذى بها عند الموت اشد بل هى فى
الدنيا مشاهده فان من نهب داره واخذ اهله وولده وماله
فيكون مصيبته والمه وتفجعه فى كل ما فقد بقدر لذته بها
وحبه لها وحرصه عليها فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده
والذ فهو عند الفقد ادهى وامر وما للموت معنى الا فقد ما
فى الدنيا وقد روى ان النبى قال للضحاك بن سفين الكلابى
الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والما
قال بلى قال فالى ماذا يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله
قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا لما يصير اليه طعام ابن
آدم وقال ابى بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا

ضربت مثلا لابن ادم فانظر ما يخرج من ابن ادم وان قزحه
وملحه الى ما يصير وقال عليه السلام ان الله ضرب الدنيا
لمطعم ابن ادم مثلا وضرب مطعم ابن ادم للدنيا مثلا وان قزحه
وملحه قال الحسن قد رايتهم بالافاوية والطيب ثم
يرمون به حيث رايتم وقد قال الله تعالى فلينظر الانسان الى
طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر
اني اريد ان اسألك واستحيي قال فلا تستحي وسل قال اذا
قضى احدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك
يقول له انظر هذا ما بخلت به انظر الى ماذا صار وكان
بشير بن كعب يقول انطلقوا اريكم الدنيا فيذهب بهم
الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم
وسمنهم **مثال آخر** في نسبة الدنيا الى الاخرة قال
رسول الله ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم
اصبعه في اليم فلينظر ما يرجع اليه **مثال اخر** للدنيا واهلها
في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الاخرة وخسرانهم
العظيمة بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم
ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء

الحاجة وبادروا الى السفينة فصادف المكان خاليا
فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم توقف
في الجزيرة ينظر الى ازهارها وانوارها العجيبة وغياضها
الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة
وصار يلحظ من تربتها احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة
الالوان والاشكال الحسنة المنظر المعجبة النقوش السالبة
اعين الناظرين بحسن زوحها وعجايب صورها ثم تنبه لخطر فوات
السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا
فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه
حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد
في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ضيقا وصار ثقلا
عليه ووبالا فندم على اخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا
لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متاسف على اخذه
وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب
وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله
باكل تلك الثمار والشم لتلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار
وهو مع ذلك خايف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات

والنكبات ولا ينفك عن شوك يتشبث ثيابه وغصن يجرح
بدنه وشوكه تدخل في رجله وصوت هايل يفزع منه وعوسج
يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو اراده
فلما بلغهم نداء السفينة انصرف بعضهم مثقلا بما معه ولم
يجد في المركب موضعا فبقي على الشط حتى مات جوعا وبعضهم
لم يبلغهم النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع
ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال
ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة واما من
وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الحجارة المزججة فقد استرقته
وشغله الحزن لحفظه والخوف من فوته وقد ضيق عليه مكانه
فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكمدت الوان الاحجار وظهر
نتن ريحها فصار مع كونه مضيقا عليه مؤذيا بنتنه ووحشته
ولم يجد حيلة الا ان القاها في البحر هربا منها وقد اثر فيه ما اكل
منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه من الاسقام
بتلك الروايح فبلغ سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة
المحل فتاذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن
استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل الوطن سالما

فهذا مثال اصناف الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة
ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امرهم
وما اقبح بمن يزعم انه بصير عاقل ان يغره احجار الارض
وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا
وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو
في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذا حال الخلق كلهم
الا من عصمه الله مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف
ايمانهم يقول الله عز وجل في تحذيره اياهم بغوائل الدنيا قال
الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى
اذا لم يدروا اما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد
وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة
فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة
يقطر راسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا
من قريب فلما انتهى اليهم قالوا يا هذا قال على ما انتم قالوا على ما
ترى قال ارايتكم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون
قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه

عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ما
دوا ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا
يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ما ليس كمايكم والى رياض
ليس كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا
لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا قال وقالت طايفة وهم
اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا
تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله لنصدقنكم في اخره
فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فنذر بهم عدو فاصبحوا من بين اسير
وقتيل **مثال آخر** لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها
اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيا دارا وهو
يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا واحدا فدخل واحد فقدم
اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا لمن
يتملكه وياخذه فمن جهل رسمه فظن انه قد وهب ذلك منه
فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان
عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة نفس وانشراح
صدر فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة
سبلت على المجتازين لا على المقيمين فيتزودون منها وينتفعون

كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم
حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه امثلة فانتفعوا بها
بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد اعلم ان
معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي
وما الذي ينبغي ان تجتنب منها وما الذي لا تجتنب فلا بد وان
نبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة
لطريق الله ما هي فنقول دنياك واخرتك عبارتان عن حالتين
من احوال قلبك فالقريب الداني منهما تسمى دنيا وهي كل ما قبل
الموت والمتراخي المتاخر تسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما
لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال
قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل
وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلاثة اقسام
القسم الاول ما يصحبك في الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت
وهو شيئان العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله وصفاته
وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم
بشريعة نبيه واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى
وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر

النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار
حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا المذمومة لم نعد هذا
من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته
فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات حتى
قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل
وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر
فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل
فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا
نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال عليه السلام حبب الي من دنياكم
ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة من جملة ملاذ الدنيا
وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم
الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالسجود
والركوع انما يكون في الدنيا فكذلك اضافها الى الدنيا الا انا في
هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست
من الدنيا القسم الثاني وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما
فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي
كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات

الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير
المقنطرة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري
والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة
فحظ العبد من هذه كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او
في محل الحاجة نظر طويل اذ روي عن عمر رضي الله عنه انه
استعمل ابا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه
عمر بن الخطاب امير المؤمنين العويمر قد كان لك في بناء فارس والروم
ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين اذن الله بخرابها فاذا اتاك كتابي
هذا فقد سيرتك انت واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات
فهذا راه فضولا من الدنيا فتامل فيه القسم الثالث وهو
متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الآخرة كقدر
القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتاتى
للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس
من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة
اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة على العلم والعمل
لم يكن متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه
الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني

وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث
صفات صفا القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه
بذكر الله وحبه لله تعالى وصفا القلب وطهارته لا يحصل الا
بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله
تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا يحصل
معرفة الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلث هي المنجيات
المسعدات بعد الموت اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا
فهي من المنجيات اذ يكون جنة بين العبد وبين عذاب الله تعالى
كما ورد في الاخبار ان اعمال العبد يناضل عنه فاذا جاء
العذاب من جهة رجله جا قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة
يديه جات الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس والحب
فهما من المسعدات وهما موصلان للعبد الى لذة اللقا والمشاهدة
وهذه السعادة تعجل عقيب الموت الى ان يدخل اوان الروية في
الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر
عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن
دوام الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت
من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من

الموانع امنا من العوائق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت
معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل
بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه فما
حال من كان له واحد يوخذ منه ذلك الواحد وليس الموت
عدما انما هو فراق الدنيا وقدوم على الله فاذا سالك طريق
الاخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر
والفكر والعمل الذي يعظمه عن شهوات الدنيا ويبغض عليه
ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة
البدن لا ينال الا بقوت وملبس ومسكن ومنهاج كل واحد الى
اسباب فالقدر الذي لا بد منه في هذه الثلثة اذا اخذ العبد
من الدنيا للاخرة لم يكن من ابنا الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة
الاخرة وان اخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من ابناء
الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا
ينقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الاخرة ويسمى حراما والى ما
يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى
حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيمة لاجل
المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب فقد عذب فاذ قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب
فقد قال ايضا حلالها عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام
بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما
يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا
بقا لها هو ايضا عذاب وتشبه حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك
وقد سبقوك بسعادة دنيوية كيف يتقطع قلبك عليه حسرة مع
علمك بانها سعادات منصرمة لا بقا لها ومنغصة بكدورات لا
صفا لها فما حالك في سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور
دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طاير او بالنظر
الى خضرة او شربة ما بارد فانه ينقص من حظه في الاخرة اضعافه
وهو المعنى بقوله عليه السلام لعمر هذا من النعيم الذي تسال عنه
اشار الى الما البارد والتعرض لجواب الحساب فيه ذل وخوف وخطر
ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر
رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش فعرض عليه ما
بارد بعسل فاداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها
حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك
القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره

من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلام وضع راسه على
حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال له رغبت في الدنيا
وحتى ان سليمن عليه السلام في ملكه كان يطعم لذايذ الاطعمة
وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا
وشدة فان الصبر عن لذايذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا
زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا وكان يطوى اياما وكان يشد الحجر
على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلا والمحن على الانبيا والاوليا
ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من
الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم
الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت
بهذا ان كل ما ليس لله فهو للدنيا وما هو لله فليس من الدنيا فان قلت
فما الذي هو لله فاقول الاشيا ثلثة اقسام منها ما لا يتصور ان
يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع
التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة
ومعنى ومنها ما صورتها لله ويمكن ان يجعل لغير الله وهي ثلاثة الذكر
والفكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلث اذا جرت
سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر الله واليوم الاخر فهي لله وليست

من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشوف به
وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفه او كان الغرض من ترك
الشهوه حفظ المال او الحمية لصحة البدن والاشتهار
بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان بصورتها انها
لله ومنها ما صورتها لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناها لله
وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده
فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد
الاستعانة على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته
صورة الدنيا قال عليه السلام من طلب الدنيا حلالا مكاثرا
مفاخرا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا
عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة
البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك
العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه
اشار قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى
ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله
انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في
الاموال والاولاد والاعيان التي تحصل هذه الخمسة سبعة

يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله ليس
من الدنيا وقدر ضرورة القوت بدوام ذكره ومطالعة جماله
فان نفعت العوايق واقلت وما لا بد من مسكن وملبس هو لله ان قصد
به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله والضرورة
درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من
حد الضرورة ولا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن
وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر وبينهما وسايط
متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر
والتقوى والتقريب من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء
اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويس القرني
رحمه الله عليه كان يظن اهله انه مجنون لشدة على نفسه فبنوا
له بيتا على باب دارهم وكان ياتي عليهم السنة والسنتان والثلث لا
يرون له وجها وكان يخرج اول الاذان ويأتي الى منزله بعد العشاء
الآخرة وكان طعامه ان يلقط النوى وان اصاب الحشف خبأها
لافطاره فان اصاب ما يقوته من الحشف تصدق به وان لم يصب ما

يقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته وكان لباسه
مما يرى على المزابل فيلتقط قطع الاكسية فيغسلها في الفرات
ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها وكان ذلك لباسه وكان ربما
يمر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا
اخوتاه ان كنتم ترمونني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان تدموني
فتحضر الصلاة ولا اصيب الما فهكذا كانت سيرته ولهذا
عظم رسول الله امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشار
اليه ولما ولي عمر بن الخطاب قال يا ايها الناس من كان منكم من العراق
فليقم فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فقاموا
فقال الا اجلسوا الا من كان من مراد فقاموا فقال الا اجلسوا الا
من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجل واحد فقال عمر اقرني انت فقال
نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما تسال
عن ذلك يا امير المومنين والله ما فينا احمق منه ولا اجن منه ولا
احوج منه ولا ادنى منه فبكى عمر ثم قال ما قلت الا اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة
ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب
قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويس القرني واسال عنه

حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات بنصف النهار يتوضا
ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم
شديد الادمة محلوق الراس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه
متهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد علي ونظر الي فقلت حياك الله
من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله
يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي اياه
ورقتي عليه اذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى قال وانت
حياك الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي قال فقلت
الله تعالى فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا
قال فتعجبت حين عرفني ولا والله ما رايته قبل ذلك ولا راني فقلت
اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير
وعرف روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس
الاجساد وان المومنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وان
لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل
قال قلت حدثني عن رسول الله بحديث اسمعه منك فقال لم ادرك
رسول الله ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن رايت رجالا صحبوه وبلغني من حديثه نحو ما بلغك ولست احب ان

افتح هذا الباب على نفسي لن اكون محدثا او مفتيا او قاضيا في
نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرا علي اية من
القران اسمعها منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية احفظها
عنك فاني احبك في الله حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي على
شاطي الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق
الكلام كلامه ثم قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى
انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم
قال يا هرم بن حيان مات ابوك حيان واوشك ان تموت فاما
الى الجنة واما الى نار ومات ابوك ادم وماتت امك حوا ومات
نوح ومات ابرهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن يا ابن
حيان ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد رسول رب العالمين
ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب اخي وصفيي
ثم قال يا عمراه يا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال
فقد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال انا وانت في الموتى
كانه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات

خفيات ثم قال هذه وصيتي اياك يا هرم بن حيان كتاب الله تعالى
ونعي الصالحين المومنين فقد نعيت الي نفسي ونفسك عليك بذكر
الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت
اليهم والنصح للامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق
دينك وانت لا تعلم فتدخل النار يوم القيمة ادع لي ولنفسك ثم
قال اللهم ان هذا يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة
وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيا حيث
ما كان واضمم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا
فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه
على خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك
ورحمة الله لا اراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فاني اكره الشهرة
والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هولاء الناس حيا
ولا تسأل عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال ولم ارك وتراني فاذكرني
وادع لي فاني سأذكرك وادعو لك ان شا الله تعالى انطلق انت هاهنا
حتى انطلق انا هاهنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقته
فبكى وابكاني وجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سالت
عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشي رحمه الله وغفر له

فهذا كانت سيرة ابناء الاخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت
مما سبق في بيان سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كلما
اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل وضد الدنيا
الاخرة وهو كل ما اريد به الله عز وجل فما يوخذ بقدر الضرورة
من الدنيا لاجل قوة طاعة الله ليس من الدنيا ويتبين هذا المثال
وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له
ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد
للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن
مركب النفس يقطع بها مسافة العمر فتعهد البدن بما يبقى به قوته
على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الاخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد
تلذذ البدن وتنعمه بشي من هذه الاسباب كان منحرفا عن الاخرة
ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة
في المسجد سبعة ايام طاويا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وانا
بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله تعالى
عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك **بيان ماهية الدنيا**
في نفسها واشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى انساهم انفسهم
وخالقهم ومصدرهم وموردهم اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة

وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور
قد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان
الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال
تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا
فالارض فراش للادميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم
ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة اقسام
المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الادمي للاقتيات
وللتداوي واما المعادن فيطلبها الادمي للآلات والاواني كالنحا
رس
والرصاص وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد
واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم فيطلب لحومها
للاكل وظهورها للمركب وللزينة واما الانسان فقد يطلب
الادمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان
او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها
بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى
الجاه ملك القلوب قلوب الادميين فهذه الاعيان التي يعبر
عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب

والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلي
واليواقيت وغيرها والخيل المسومة والانعام وهي البهايم والحيوانات
والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع
القلب علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف
همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في
هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل
والحسد والريا والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء
وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة
فهي الاعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية مع البدن وهي اشتغاله
باصلاح هذه الاعيان ليصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة
الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا
انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة حب القلب
بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة
الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف
الدابة التي تسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى
الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل في طريق الحج الا بعلف وماء
وحلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف

في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها
الوان الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش ويبرد لها الما بالثلج حتى تفوته
القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية
فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه امر الجمل الا القدر
الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى
الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد
البدن الا بالضرورة كما لا يدخل الما الا بالضرورة ولا يفرق بين
ادخال الطعام وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن
ومن همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما
شغل عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضروري وامر المسكن والملبس
اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها
لم يستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها
وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا
واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة
الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا
وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى
يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف صرف الخلق عن الله تعالى وكيف انسا
هم

عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنياوية وهي الحرف
والصناعات والاعمال التي ترى الناس منكبين عليها وسبب كثرة
الاشغال هو ان الانسان مضطر الى القوت والمسكن والملبس
والقوت للغذا والبقا والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر
والبرد ولدفع اسباب الهلاك عن المال والاهل ولم يخلق الله تعالى
القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان
فيه نعم خلق ذلك للبهايم فان النبات تغذى الحيوان من غير طبخ والحر
والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني عن البنا ويقنع بالصحرآء ولباسها
شعورها وجلودها فتستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك
فحدث الحاجة لذلك الى خمس صناعات وهي اصول الصناعات واوايل
الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء
اما البنا فللمسكن والحياكة وما يتبعها من الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة
للمطعم والرعاية للمواشي والخيل ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به
تحصيل ما خلقه الله من صيد او معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل
النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت
ونتج بنفسه من غير صنع ادمي وكذلك ياخذ من معادن الارض ما يخلق من
غير صنعة ادمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال

عدة ثم هذه الصناعات افتقرت الى ادوات والالات كالحياكة
والفلاحة والبنا والاقتناص والالات اما تؤخذ من النبات وهو الاخشاب
او من المعادن كالحديد والرصاص وغيره او من جلود الحيوانات فحدثت
الحاجة الى ثلاث انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز
وهؤلاء هم عمال الالات ونعني بالنجار كل عامل على الخشب كيف ما كان
والحداد كل ذلك من عمل على جواهر المعادن حتى النحاس والابري
وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما احاد الحرف فكثيرة واما الخراز
فنعني به كل عامل على جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصنايع
ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره
من جنسه وذلك بسببين احدهما حاجته الى النسل لبقا جنس الانسان
ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون
على تهيئة اسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي
الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب
القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان
يعيش كذلك ما لم يجتمع طايفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان
الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى الاتها ويحتاج
الالة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك

ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراثة القطن والات الحياكة
والخياطة واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده
وحدثت الحاجة الى الاجتماعات ثم لو اجتمعوا في صحرا مكشوف
لتأذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل
ينفرد كل اهل بيت بما معه من الالات والاثاث والمنازل تدفع
الحر والبرد وتدفع الجيران عن اللصوصية ولكن جميع المنازل قد
يقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الى
التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت
البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد
وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج
على الزوجة وولاية على الابوين للولد لانه ضعيف يحتاج الى القوام
به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية
على البهايم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت واما المراة فتخاصم
الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد ايضا
فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك
لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على
المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة

ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض او هرم
وتعرض عوارض مختلفة لو ترك ضايعا لهلك ولو وكل تفقده الى
الجميع تخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له
فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات
اخرى فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الارض فيمكن
القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد
بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوسط
لفصل الخصومة ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون
الذي ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا
يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله في المعاملات وشروطها
وهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون
بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية واذا اشتغلوا
بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعايش ويحتاج اهل
البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعدا تعطلت الصنا عات
ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت بطلت
البلاد عن الحراس واستضر به الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى
معايشهم الاموال الضايعة التي لا مالك لها ان كانت او تصرف اليهم

العنايم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وزرع
قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة
لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث
الحاجة الى الخراج ثم تتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى
صناعات اخر اذ فتحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين
وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة
والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم
الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو العارض للعساكر وهذه
الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابط انخرم النظام فتحدث
منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار
لكل واحد ما يليق به ويراعي النصفة في اخذ الخراج واعطائه واستعمال
الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير
والقايد على كل طايفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك
فيحدث بعد ذلك الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي
يراقبهم بالعين الكالية ويدبرهم بالكتاب والخزان والحساب والجباة
والعمال ثم هولاء ايضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال
بالحرف فيحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى

فرع الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلث طوايف
الفلاحون والرعاة والمحترفون والثاني الجندية والحماة
لهم بالسيوف والثالث المترددون بين الطايفتين في الاخذ
والعطا وهم العمال والجباة واشباههم فانظر كيف ابتدا الامر من حاجة
القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا ينفتح
منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا تتناهى الى
غير حد محصور وكانها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة
منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف
والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة
عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها الاغذية
ثم الامكنة التي ياوي الانسان اليها وهي الدور ثم الامكنة التي يسعى
فيها للتعيش كالاسواق والحوانيت والمزارع ثم الكسوة ثم
اثاث البيت والاته ثم الات الالات وقد يكون في الالات ما هو
حيوان كالكلب الة الصياد والبقر الة الحراثة والفرس الة الحرب
ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس بها
الة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن بها الزراعة
فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما

الى ان يبذل ما عنده للاخر حتى ياخذ منه عوضه وذلك بطريق
المعاوضة الا ان التجار مثلا اذا طلب الالة من الفلاح بالغذا
بالته ربما لا يحتاج الفلاح فى ذلك الوقت الى الالة فلا يبيعه
والفلاح اذا طلب الالة من التجار بالطعام ربما كان عنده طعام
فى ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض واضطروا الى
حانوت يجمع الة كل صناعة يترصد بها صاحبها ارباب الحاجات والى
انبار يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريها منهم صاحب الانبار
يترصد به ارباب الحاجات فظهر لذلك الاسواق والمخازن فيحمل
الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة
يخزنونها فى انتظار ارباب الحاجات طمعا فى الربح وكذلك فى جميع الامتعة
والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس
يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات وينقلون ويتعيشون
به لينتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لم يوجد فيها كل الة
وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج الى البعض فيحوج
الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص المال
فيتعبون طول الليل والنهار فى الاسفار لاغراض غيرهم ونصيبهم منها
جمع المال الذى يأكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان

ظالم ولكن جعل الله فى غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة
للعباد بل جميع امور الدنيا انتظم بالغفلة وخسة الهمة ولو
عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا فى الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت
المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التى
تنقل لا يقدر الانسان على حملها فتحتاج الى دواب وصاحب المال قد
لا يملك الدابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة
ويصير الكرا نوعا من الاكتساب ايضا ثم تحدث بسبب البياعات الحاجة
الى النقدين فان من يريد ان يشترى طعاما بثوب فمن اين يدرى ان المقدار
الذى يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجرى فى اجناس مختلفة
كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد
من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك
العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه
تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة
والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة
الى دار الضرب والى الصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها
الى بعض حتى انتهى الى ما تراه وهذه اشغال الخلق وهى معايشهم
وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب فى الابتداء

وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبى فلا يشتغل به او يمنعه عنه
مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان ياكل
ما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية
اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون من اللصوص
والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم الى استنباط
الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون في يديه شوكة
وقوة فيجتمعون ويكاثرون ويقطعون الطرق كالاعراب والاكراد
اما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز
فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من
انواع اللصوص الحادثة بحسب ما انتجه الافكار المصروفة الى الاستنباط
واما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره قيل له اتعب واعمل كما
عمل غيرك فما لك وللبطالة فلا يعطى فافتقروا الى حيلة الى استخراج
الاموال وتمهيد العذر لانفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز
اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعتذروا
بالعمى فيعطون واما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك
بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون
ذلك سببا للرحمة وجماعة يلتمسون اقوالا وافعالا يتعجب الناس منها حتى

تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها حتى تسخو برفع اليد عن قليل من
المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم
وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد
يكون بالاشعار الغريبة او الكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت
والشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب
يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت والذي
يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق
او تسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش
الذي يخيل انها ادوية فيخدع بها الصبيان وكاصحاب القرعة والفال
والمنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤوس المنابر
اذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ
اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنباط
بدقيق الفكر لاجل المعيشة وهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي
اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا
في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآلهم فضلوا وتاهوا وسبق
الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرتها زحمة اشغال الدنيا خيالات
فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة اوجه فطائفة

غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا
المقصود ان نعيش في الدنيا اياما فنجتهد حتى نكتسب القوت ثم ناكل
حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى ناكل فياكلون ليكتسبوا ويكتسبون
ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا
ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل ليلا ليتعب نهارا
وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطايفة
اخرى زعموا انهم تفطنوا الامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى
الانسان بالعمل ولا يتنعم بالدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره
من شهوة الدنيا وهو شهوة البطن والفرج فهولاء نسوا انفسهم
وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذايذ الاطعمة ياكلون كما
تاكل الانعام ويظنون انهم قد نالوا ذلك وقد ادركوا غاية السعادات
فشغلهم ذلك عن الله واليوم الاخر وطايفة ظنوا ان السعادة في
كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم في
الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال
الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا
وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دابهم وحركتهم الى ان
يدركهم الموت فتبقى تحت الارض او يظفر به من ياكله في الشهوات

واللذات فيكون للجامع تعبها ووبالها وللآكل ثم الذين يجمعون
ينظرون الى امثال ذلك ولا يعتبرون وطايفة ظنوا ان السعادة
في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثنا والمدح بالتجمل والمروة فهولا
يتعبون في كسب المعايش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب
ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون
ابواب الدور وما يقع عليها ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو
ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة همتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد
موقع نظر الناس وطايفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة
بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا همتهم الى استجرار
الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية
لينفذ امرهم بها على طايفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم
وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية
المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب المتغافلين من الناس فهولاء
شغلهم حب تواضع الناس عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في
آخرتهم ومعادهم ووراء هذا طوايف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين
فرقة كلهم ضلوا واضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع
ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن فنسوا ما يراد به هذه الامور

الثلاثة والقدر الذي يكفيه منه وانجرت بهم اوايل اسبابها الى
اواخرها وتداعى بهم الى مهاوي لم يمكنهم الترقي منها فمن عرف وجه
الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود فلا
يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه
منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك
وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال وفرغ القلب
وغلب عليه ذكر الاخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد لها وان تعدى
به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل
الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية
الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه وهذا شان المنهمكين في اشغال
الدنيا وتنبه لذلك طايفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان
ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوايف فظنت
طايفة ان الدنيا دار بلا ومحنة وان الاخرة دار سعادة لكل من
وصل اليها سوا تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب في ان
يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوايف من الهند
يهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص
منهم من سجن الدنيا وظنت طايفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد

اولا من اماتة صفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية
وان السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة
وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم
فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليهم طريق العبادة وبعضهم
عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان
الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا
التعب كله لله تعالى وان الله مستغني عن عبادة العباد لا ينقصه
عصيان عاص ولا يزيده عبادة مطيع فعادوا الى الشهوات وسلكوا
مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك
من صفا توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد
وظن طايفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد
الى معرفة الله فاذا حصلت المعرفة لله وصل وبعد الوصول يستغني عن
الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم
في معرفة الله عن ان يمتهنوا بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق
ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هايلة يطول احصاؤها الى ان
تبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي ما كان
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا

بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فيوخذ منها قدر الزاد
واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا
يمنع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شي
من الدنيا ولا يطلب كل شي من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق
الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيوخذ من القوت ما يقوى به
البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد
ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله
بكنه همه واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة
الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم
تفصيل ذلك الا بالاقتدا بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم
الصحابة فانه لما قال الناجي منها واحد قالوا يا رسول الله من هم
قال اهل السنة والجماعة فقيل وما اهل السنة والجماعة قال ما انا
عليه واصحابي وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه
من قبله فانهم ما كانوا ياخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون
ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط وافراط بل كان
بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور
الى الله تعالى كما سبق في مواضع والله اعلم تم كتاب ذم الدنيا

بعون الله تعالى وحسن توفيقه
ويتلوه كتاب حب المال
وهو الكتاب السابع من ربع
المهلكات من كتب احيا علوم الدين
وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم
تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين